

الرسالة

5 me Année, No 222. Lundi - 4 - 10 - 1937

بدل الاشتراك عن سنة
ص
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٤٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
مكتب الاعلانات
٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة
تليفون ٤٣٠١٣

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

الادارة
بشارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء — القاهرة
ت رقم ٤٢٣٩٠ و ٥٣٤٥٥

العـــدد ٢٢٢ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٨ رجب سنة ١٣٥٦ — ٤ أكتوبر سنة ١٩٣٧ » السنة الخامسة

فهرس العـــدد

مقتضيات الحروب الحديثة

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى

كانت الحرب فى الأزمنة القديمة لا تدور أرحاؤها إلا بين الجيوش : أى بين الجماعات المجمولة للقتال والمدربة عليه ولا عمل لها فى الحياة إلا هذا ؛ ومتى غلب جيش جيشاً وألحق به هزيمة تضعضعه وتمنع أن تكون له قدرة على الكر انتهى الأمر ووضعت الحرب أوزارها وسلم المغلوب للغالب بما تفرضه القوة الراجحة . ولكن الحال اختلفت فى عصرنا هذا وصارت الحرب صراعاً بين الأمم والشعوب لا بين الجيوش المحترفة وحدها ؛ وهذا بعض ما أفضى إليه التقدم الآلى فى النواحى المختلفة . فلم تعد الجيوش وحدها تكفى ، ولم يبق من الممكن الاجتزاء بها والتعويل عليها وحدها كما كان الحال فى العصور الغابرة ، بل صارت الحالة تدعو إلى اعداد الأمة كلها للحرب وتدريب كل فرد من أفرادها على فنونها وتهيئته لما تقتضيه حاجاتها ومطالبها ؛ وما نرى من عناية الدول المختلفة بأن ينشأ شبانها نشأة عسكرية من الصغر وتدريبهم على الحركات الحربية واستعمال أدوات القتال البرية والبحرية والجوية لتكون منهم للدولة ذخيرة تستمد منها وتعتمد عليها إذا وقعت الواقعة . وقد توسعت الدول في هذا الاستعداد حتى

امتد الأمر إلى المرأة ، فالطالبات أيضاً لهن فرق يتعلمن هذه الحركات العسكرية ويحملن البنادق ويتدربن على تسديدها إلى الأهداف وعلى مشقات الحياة فى الخنادق فضلا عن واجبات التمريض والصناعات اللازمة للحرب مثل الذخيرة وما إلى ذلك ؛ وهو توسع فى الأهبة لا حيلة فيه ولا مفر منه إذا شاءت الأمة أن تأمن وتطمئن بعد أن صار من السهل أن يتخطى العدو الجيوش الراصدة له وأن يمطر القرى والمدن وابلاً من القنابل المخربة والغازات الفتاكة . وبعد أن أصبح كل شىء وكل مكان صالحاً لأن يكون غرضاً للعدو وميداناً للقتال

ولم يسع الأمم العربية والشرقية إلا أن تحتذى هذا المثال ، وإلا أن تنسج على ذلك المنوال . ففى تركيا تتدرب الفتيات كما يتدرب الفتيان على أساليب الحرب وآلاتها بلا فرق . وفى العراق أدخل التعليم العسكرى فى المدارس الثانوية ، فكل طالب فيها يتلقى هذا التعليم كما يتلقى غيره من العلوم والمعارف المدنية فى الساحات المجعولة لذلك ؛ وقد سميت فرق الطلبة : « فرق الفتوة » . وكنا قد شرعنا فى مثل ذلك فى مصر ولكن على غير نهج مقرر أو خطة مرسومة معروفة الوسائل والغايات ؛ وذلك أن الجامعة رأت فى العام الماضى أن تعنى بالتربية الرياضية وألبست الطلبة أردية خاصة واستقدمت لتدريبهم رجالاً من رجال الجندية ، ورغبت فى تدريبهم على استعمال البنادق فاستأذنت أولى الأمر ، وقيل إنهم أذنوا ، ولكنا لم نر أثراً لهذا الإذن ، وكان ذلك ختام ما بدأته الجامعة

أما فى هذا العام فإن المرجو والمنتظر أن يكون هذا الأمر جدا ، أو هو ينبغي أن يكون كذلك . وقد طلبت البعثة العسكرية البريطانية التى جىء بها لتدريب الجيش المصرى إدخال التعليم العسكرى فى المدارس الثانوية وفى الجامعة على الأخص . ولا غرابة فى هذا الطلب أو الاقتراح ، فإن البعثة تدرك أدق إدراك ما يقتضيه التطور الحديث فى الحرب ومطالبها ، فإن الجيوش لا تكفى ولا غناء لها — مهما بلغ من ضخامتها ووفاء عدتها ووفرة أسلحتها — ولا مهرب من أن تكون الأمة كلها جيشاً عند الحاجة بعد أن انتفى الفرق من حيث التعرض لحملات العدو بين الذين يكونون فى الصفوف الأولى من خطوط القتال والذين يكونون فى بيوتهم أو قراهم فى أقصى طرف من البلاد

ولا شك أن الحرب بلاء ونقمة ، وأن الرقى الآلى الحديث قد جعلها آفة ماحقة ، ولكن الرجاء فى السلامة من هذا البلاء لا يكون بالاكتفاء بالانحاء عليها ، وبسط اللسان فيها ، والقول بأنها شر مستطير وخراب شامل ؛ وإنما يكون الرجاء فى أخذ الأهبة ، واستيفاء العدة ؛ ولا سيما إذا كانت البلاد مكشوفة كبلادنا ومطموعاً فيها ومهددة بالغزو فى أية لحظة تستعر فيها نار الحرب كما نحن مهددون

على أن التدريب العسكري أو الرياضى — إذا آثرت هذا اللفظ الذى لا يزعج — حسن فى ذاته ومحمود ، بغض النظر عن الأغراض الحربية ؛ ويكفى أنه يقوم الأجسام ، ويصلح الأبدان ، ويهذب النفس ويقويها ، ويجعل المرء على العموم أكفأ وأقدر على القيام بفرائضها والاضطلاع بتكاليفها

على أنا أمة مهددة بأن تصبح بلادها أوسع ميادين الحرب وأهولها إذا شاءت المقادير أن تشب نارها بين دول الغرب ، فلا حاجة بنا إلى قول شىء فى فضل التربية الرياضية ومزيتها وقيمتها فقد صار الأمر لا معدى عنه بحكم الظروف والأحوال لا بالاختيار والرأى والهوى . وهذه الأحوال تقضى علينا بأن نختار أحد أمرين : الأول أن نوطن أنفسنا على أن تأكلنا أول دولة تطمع فينا وتتاح لها فرصة العدوان علينا ، فاذا آثرنا هذا المصير الزرى فليس علينا حينئذ إلا أن نقعد منتظرين من يجىء ليستولى علينا ؛ والثانى نوطن أنفسنا على الذود الواجب عن حقيقتنا والدفاع عن حريتنا واستقلالنا ورد كل عدوان عليهما ، فاذا كان هذا هكذا فالأمر بين ، وعلينا إذن أن نعد العدة لهذا الدفاع وأن نتخذ له كل أهبة يفرضها التطور الحديث فى الحرب ووسائلها وأساليبها وآلاتها ؛ ولابد حينئذ من تهيئة الأمة لمطالب هذه الحرب المخوفة على نحو يكفل للدولة الانتفاع التام بقوى الرجال والنساء فيها جميعا ، فللنساء ما يستطعن أن يحسن من الأعمال ، ولا خفاء بهذه فانها معروفة ، وعلى الرجال أن يكون كل واحد منهم مستعداً لحمل السلاح والسير إلى حيث تحتاج إليه الدولة لعمل من أعمال الدفاع القوى ؛ ولا يتسنى هذا إلا إذا دربنا الفتيان من الآن فى المدارس والجامعة على إتقان ما عسى أن يطالبوا به إذا دعاهم داعى الوطن

وقد يتوهم البعض أن هذه الدعوة التى أرسلها لا تخلو من إسراف وشطط ومبالغة في تصور الأخطار وتجسيمها والتهويل بها ، ولكني أعتقد أن الأمر على خلاف ذلك وأن الحال على نقيضه

وأعني بذلك أننا أسرفنا فى الاطمئنان وبالغنا فى الاخلاد إلى دواعى الأمن والثقة والاستراحة إلى انتفاء المخاوف ؛ وقد آن لنا جداً أن ندير عيوننا فيما حولنا ، وأن نتدبر دلالة مانرى ، وأن نمد بصرنا إلى أبعد من يومنا الحاضر . والمثل يقول : « من مأمنه يؤتى الحذر » فكيف بالذى لا يحذر شيئاً ، ولا يتقى أمراً ؟ وهب أنه لامطمع فينا فان خلو بلادنا من وسائل الدفاع الكافى ، وضآلة عدتنا يغريان بنا الطامعين . وما زال الضعف إغراء كافياً للقوى بالوثب . ولنحن غير أهل للاستقلال إذا لم نحسن الحرص عليه والضن به ولم نعد العدة لطول الذود عنه والكفاح دونه . وقد يجىء زمن تبطل فيه الحروب وتعيش فيه الأمم إخواناً متآزرين متعاونين ؛ غير أنه إلى أن يجىء هذا الوقت السعيد لا يسع أمة تعرف لحقها فى الحياة قيمته وتدرك ما تقتضيه المحافظة عليه إلا أن تستعد للحرب دونه . وعسير جداً أن تحيا أمة عزلاء فى أمان من المخاوف بين أمم مدججة شاكية فى البر والبحر والهواء

إبراهيم عبد القادر المازنى

الفيلسوف الحاكم

للأستاذ عباس محمود العقاد

شهدنا بعد الحرب عجباً من عجب السياسة والرآسة لم يشهده جيل واحد من تاريخ بنى الإنسان

شهدنا موسيقاراً على رأس دولة ، وفيلسوفاً على رأس دولة أخرى ، وهو قبل ذلك ابن حوذى وتلميذ حداد ، ونقاشين وأفاقين على رءوس دول أخرى يجلسون على عروش القياصرة والخواقين ، ويسوسون شعوباً كبيرة بلغ بعضها الذروة من الحضارة والنظام

أحب هؤلاء جميعاً وأولاهم بعطف النفس الانسانية فيما نظن هو الفيلسوف الحاكم « مازاريك » الذى قام على جمهورية التشك والسلواق بعد الحرب العظمى ، وقضى نحبه في الشهر الغابر وهو فى السابعة والثمانين

قرأت له قبل أن أسمع الشىء الكثير عن سيرته فى الجهاد الوطنى وعن مساعيه فى السياسة الدولية : قرأت له كتابه الحافل عن « روح الروسيا » فاكبرت منه اطلاعاً واسعاً يخيل إليك أن صاحبه لن يفرغ معه لعمل من الأعمال الجسام . وخلاصة ما يقال فى الكتاب أنه لم يدع فيلسوفاً واحداً من الأقدمين أو المحدثين الا ألم برأيه وتعقب الصلات الفكرية والاجتماعية بينه وبين عقول الدعاة البارزين من فطاحل الروسيين

ووقعت لى بعد هذا الكتاب شذور من تواليفه الكثيرة يكفى لبيان نطاقها الواسع وموضوعاتها المختلفة أنها تناولت التنويم المناطيسى كما تناولت فلسفة باسكال وهيوم ، وتناولت أدب الصقالبة كما تناولت الثورة العالمية ، وصدرت فى ذلك كله عن صدر رحب برىء من العصبية والضغينة وعن ذهن شامل مفتح المنافذ على شتى الأنحاء

فى تاريخ هـذا الرجل عبر لا تنتهي لمن شاء أن يتأمل فى أخلاق الناس وفى موازين العدل والانصاف بين الأمم ، وفى ضعف الانسان ولو كان من الحكماء وكان من الحاكمين

كنت أقرأ الثناء عليه وأقرأ الزراية على « روجر كازمنت » الشهيد الإيرلندي فى وقت واحد

وكنت أقرأ الثناء والإزراء على عمل واحد فى وقت واحد وصحافة واحدة ، فأعجب للعقول وأعجب للأهواء ، وأعجب لمن خطر لهم أن يقولوا مرة من المرات ولو من قبيل التجوز والمزاح : كل شىء بالعقل فى هذه الدنيا ! ! وما فى هذه الدنيا شىء إلا وللعقل فيه حيرة ، وللضلال فيه جانب مقرون بجانب الهداية

هرب مازاريك من بلاده واتفق مع الحلفاء على تأليف جيش من أبناء وطنه الأسرى والمبعدين ، ونجح فكان من الأبطال وأقام فى قصور هابسبرج ، ومات بين التعظيم والمحبة والإطراء

وصنع « روجر كازمنت » ، ما صنع مازاريك فهرب من بلاده واتفق مع الألمان على تأليف جيش من أبناء وطنه الأسرى والمبعدين ، وفشل فكان من الخونة المجرمين ، وسيق إلى القبر وهو ينظر إلى الشمس السافرة ويهتف : ما أجمل هـذا الصباح ! ولكنه كان صباحه الأخير

والصحف البريطانية يومذاك تذكر هذا وتذكر ذاك ، فأما مازاريك فبطل كريم ، وأما كازمنت فخائن أثيم . ويتبع ذلك ما يتبع الإخفاق والخزى من فرية المفترى ، وأكذوبة الكاذب ، واجتراء اللئيم

***

كان مازاريك في صباه عوناً للمستضعفين ولو كانوا مبغضين متبوذين ، وكان نصيراً للحق ولو كان الباطل أدنى منه إلى الشهرة والاعجاب . فدافع عن اليهود فى بلاد لايطاق فيها اسم أبناء إسرائيل ، وزيف الأسانيد الموروثة التى يفخر بها أبناء قومه ويعتدونها من تراث الوطن الحرام المضنون به على النقد والتشكيك ، فكان أبوه أول من صدق فيه تهمة القادحين وذهب إليه يستأديه بعض المال الذى قبضه من مصارف اليهود ، وكان الغلاة من دعاة الوطنية في بلاده أول من تبرأ منه وخاض فى عرضه حتى قال قائلهم : « إن عاراً على وطنه أن يكون بين نسائه امرأة حملت فى بطنها مازاريك »

ودارت الأيام دورتها فاذا بهذا العار هو عنوان وطنه ، وهو القائل باسمه والكاتب باسمه والوكيل الذى اجتمع وكلاء بلاده بعد الحرب العظمى يعلنون على الملأ الأوربي أن كل ماوقعه مازاريك فى ديار الهجرة والاغتراب هو صك نافذ على البلاد تدين به وترعاه

***

وجرى حديث مستفيض بين الحاكم الفيلسوف وبين المؤرخ المشهور أميل لدفج استغرق أياماً ، وجمعه لدفج في كتاب جاوزت صفحاته ثلاثمائة صفحة ، واختار له عنواناً : « حامى الديمقراطية . أو مازاريك يتكلم » .

من قرأ هذا الكتاب سمع أفلاطون وأرسطو يتكلمان فى العصر الحديث ؛ غير أن الإيمان بالديمقراطية فيه أكبر من إيمان صاحب المدينة الفاضلة وصاحب السياسة المدنية ، لأن الحاكم الفيلسوف لايعدل بالحرية الفردية نعمة من نعم الأرض ولا نعم السماء؛ وينعى على كارل ماركس كما ينعي على موسوليني انهما يطويان الفرد فى الحكومة ، ويضحيان بالواحد على مذبح الجملة ؛ ويسأله لدفج أيهما أحق لديه بالتقديم والإيثار : السلطان أو الحرية ، وإرادة الحكومة أو إرادة الأفراد ؟ فيقول : « ليس فى وسعى أن أعتقد أن ضمير الفرد مطوى فى ضمير اجتماعى واحد . إذ ليس فى الدنيا من شىء محقق غير الضمائر الفردية . وليس أمام السياسة إلا أفراد اجتمعوا على هذا النحو ليتألف منهم مجتمع واحد يكون على ضروب شتى ومنها الفاشية . أما أنا — وأنا من الفرديين — فليس يسعنى أن أسيغ فكرة الادماج أو إلغاء الأفراد ، وأن تكون الحكومة أو الأمة أو الشعب ممثلة فى شخص واحد . ولا أنسى أن هناك علماء اجتماعيين ودعاة سياسيين يقبلون مايسمونه ضمير المجتمع وينكرون ضمائر الأفراد متفرقين ، ولكنها فكرة لا يقرها العلم ، ومصدرها النزعة الأرستقراطية فى السياسة ... »

***

ووددت لو أن « مازاريك » حين مات كنت محتفظاً له بتلك الصورة التى تناسقت وتلاحقت من جهاد الشباب ومن ثورته فى الكهولة ، ومن بحوثه ومصنفاته ، ومن رسالة الديمقراطية التى قام بها على سرير الدولة كما قام بها من قبل على منصة التعليم وعلى منبر الدعاية

ولكن الفيلسوف الذى يستبقى فى الحكم صورة أفلاطون أو صورة « السياسة الغدرية » إن هو إلا أسطورة من أساطير الخيال ، نتوهمها بالنظر ونترسمها بالأمل ، ولا نلمحها بعين الواقع ولو أغضينا عن كثير

قبل أن يقضى الموت قضاءه فى الحاكم الحكيم بأشهر معدودات وقع لى كتاب عن أوربا الوسطى للكاتب الانجليزي هنرى بوتسى أسماه « اليد السوداء على أوربا » أحصى فيه مظالم الشعوب الصغيرة التى ضمتها معاهدة فرساى إلى حكومات لاتحبهم ولا يحبونها ، ومنها شعب السلواق المضمومين إلى حكومة « مازاريك » رسول الديمقراطية ونصير كل شعب مظلوم أيام كان الظلم نازلا بتلك الشعوب من آل هابسبرج !

وكان مازاريك قد عاقد وكلاء السلواق المقيمين بالولايات المتحدة في السادس والعشرين من شهر مايو سنة ١٩١٥ أن تكون حكومتهم مستقلة فى داخل الدولة على مثال الولايات المتحدة الأميركية ، وأن يكون لهم مجلسهم النيابي ، ومحاكمهم التى يضعون لها شرائعها ، ولغتهم فى التعليم والادارة والحياة العامة

فلما جاء يوم الانجاز وقامت الدولة التى مهد لها أولئك الوكلاء إذا بأرضهم مستعمرة مملوكة ، وإذا بهم أتباع منسخرون ، وإذا بالعقد المبرم قصاصة مهملة ، وإذا بالحاكم الحكيم يتحلل من عقده فيلجأ إلى حيلة لم يلجأ إليها عاهل من عواهل هابسبرج ولا متحذلق عندنا من صناع الفتاوي وطلاب الحيل الشرعية ، فيقول لوكلاء الشعب المهضوم إن العقد إنما أبرم فى يوم بطالة رسمية عند الأمة الأميركية ، وذلك فى شرع البلاد التى أبرم فيها مبطل لشروطه ناقض لفحواه !

ويلى ذلك قصة أليمة من قصص المظالم والدعايات الكاذبة ،

بحت فيها الأصوات وذهبت فيها صرخات المغلوبين على آذان عصبة الأمم كما تذهب زمجرة البحر الصاخب بين أجواز القضاء

* * *

سيرة الرجل عبرة لا تنقضي ودروس لا تنفد . أولها : أن الفيلسوف لن يسلم من لوثة الحكم والسياسة ولو أضمر الخير وأسلف الجهاد الطويل في قضايا المظالم والشكايا

وثانيها : أن الديمقراطية لا تسلم في وطن تختلف أجناسه ولغاته وأديانه وطبقات الحضارة فيه إلا على أساس « الولايات المتحدة » التي يستقل فيها كل فريق بالحكم والتشريع

وثالثها : أن أوربا الوسطى لا تزال كما كانت قبل الحرب العظمى غيلاً تصطرع فيه ضواري الأحقاد ويوشك أن يندفع بالعالم مرة أخرى إلى حرب لا تؤمن لها عاقبة

وإننا على ما انتاب الديمقراطية من خيبة ، وما تعاورها من نقض وتقويض ، لا نزال على إيمان وثيق بها أنها هي كهف السلام ومعقل بني الانسان ، ومآل الحكم في المستقبل البعيد إن لم يعجل لها النصر في مستقبل قريب

فالدول الديمقراطية لا تبغي الحرب كما تبغيها الدول الدكتاتورية ، وبريطانيا العظمى وفرنسا والولايات المتحدة لا يخشى منها على سلام العالم كما يخشى من إيطاليا وألمانيا واليابان والجمهوريات الروسية

ولقد يقال إن بريطانيا العظمى وفرنسا والولايات المتحدة إنما تسالم الدول الأخريات لأنها شبعت من المستعمرات فلا حاجة بها إلى المشاكسة ولا إلى اقتحام المشكلات ، لكنه اعتراض وجيه في ظاهره غير وجيه في لبابه . إذ أن المسالمة والاكتفاء شأن جميع الدول الديمقراطية ولو لم تكن لها مستعمرات ولا أسواق مملوكة في بلاد المستضعفين ؛ وهذه الدنمرك والسويد والنرويج وسويسرة لا تملك أرضاً وهي من اليسر والرواج في حال يحسدها عليه المالكون ؛ وربما خلت من الجند والسلاح فليس بها إلا قليل من الشرطة وما يحتاجون إليه من أداة

إنما الحقيقة أن الدكتاتورية والحرب قرينان لا يفترقان ، لأن الدكتاتورية لا تقوم إلا على عسكرية ، والعسكرية لا تستقر طويلا بغير قتال ، ولا أمان للعالم كله إلا باتجاه سريع إلى الديمقراطية يقصيه من زبانية الاستبداد سواء كانوا من أهل اليمين أو من أهل الشمال

عباس محمود العقاد

الفنادق والمقاهي التاريخية

للأستاذ محمد عبد الله عنان

كما أن الآثار والأطلال والذكريات الباقية تستمد جلالها من الحوادث والمناسبات التاريخية التي ارتبطت بقيامها ، فكذلك تستمد جلالها من الزمن ؛ وقد يكون الزمن كل شيء فيما تتشح به الأطلال الدوارس أحياناً من روعة الخلود ؛ وأقدم الهيا كل والآثار هي بلا ريب أعرقها من هذه الناحية ؛ فالقديم مهما كانت ضآلته من الناحية التاريخية أو الفنية يبعث إلى النفس أثراً خاصاً ويحملها إلى تلك العصور الذاهبة الذي يرجع إليها ويرتبط بها

فما بالك إذا كان هذا الأثر أو الصرح القديم لايزال كسابق عهده يقوم بمهمته التي أنشئ لها منذ الأحقاب المتعاقبة ، ويمتلئ حياة وبهجة ، ويساير العصر ، ويربط الحاضر بالماضي بأوثق الصلات ؟

لسنا نريد أن نحدثك في هذا المقال عن معاهد أو آثار تاريخية من هياكل أو صروح أو معاهد أو غيرها مما اصطلح على اعتباره آثاراً تاريخية تمتاز بقيمتها الفنية وبالمناسبات العظيمة التي أنشئت من أجلها ؛ ولكنا نريد أن نحدثك عن نوع آخر من هذه المنشآت التي قامت دون مناسبة تاريخية خاصة لتقوم بمهمة من مهام الحياة العادية ، ثم استطاعت أن تغالب صروف الزمن ، وأن تحمل رسالتها المتواضعة خلال أحقاب وأحقاب ، وأن تبقى إلى اليوم قائمة بنفس مهمتها ، وأن تكتسب بذلك جلال القديم وروعته

نريد بذلك الفنادق والمقاهي التاريخية

إنه لمن الشائق حقا أن تنزل في فندق ما ، أو تجلس في مقهى أو مطعم ما ، فيقال لك إن هذا الفندق أو المطعم أو المقهى يرجع قيامه إلى أربعة قرون أو خمسة ، وإنه لايزال كما نشأ باسمه وأوضاعه القائمة لم يتغير منه شيء إلا ما اقتضاه الزمن من أعمال الصيانة ، وإن كثيراً من الشخصيات التاريخية العظيمة قدمت به قبلك ، ونزلت حيث تنزل أو جلست حيث تجلس . إن في ذلك ما يذكي الخيال ويبعث إلى النفس جلالا خاصا هو جلال هذه الأحقاب الطويلة التي مرت بهذه النشأة المتواضعة ، وجلال تلك

الشخصيات التاريخية العظيمة التي ما زالت ذكرياتها وأشباحها تطوف بالمكان وتسبغ عليه من روعتها ما لم يسبغه التاريخ

ولقد آنست هذه المشاعر في كثير من المنشآت الاجتماعية التاريخية التي أتيحت لي زيارتها خلال تجوالي في العواصم الأوربية وآنستها هذا العام بنوع خاص خلال رحلة قمت بها في بلاد التيرول النمسوية: فذكرت أننا في مصر لا نعرف اليوم أمثال هذه المنشآت، ليس فقط لأن أحداث الزمن لم تبق منها على شيء، بل لأننا أيضاً فقدنا في عصور الانحطاط خلة الاستمرار، فلا نعرف في مصر منشأة تجارية أو اجتماعية أو فندقاً أو مقهى أو غيرها من المنشآت المماثلة تخطت قرناً محافظة على قديمها، متصلة بحديثها، وهو ما يعتبر من الأمور العادية في العواصم الأوربية حيث يرجع كثير من هذه المنشآت إلى أحقاب وقرون. ولقد عرفنا هذه المنشآت في العصور الوسطى، فكان للقاهرة فنادق ومقاه، تخطت دولا وعصوراً وهي تقوم بمهمتها الاجتماعية؛ وإنه ليحضرني الآن منها مثل هو فندق مسرور أو خان «مسرور» الذي يحدثنا عنه المقريزي في غير موضع، والذي لبث عصوراً مهبط الواردين إلى القاهرة من كل صوب يتناقل السياح اسمه في جميع الأقطار الاسلامية، والذي تذكره قصص ألف ليلة وليلة في مواضع مختلفة ترجع إلى عصور مختلفة كأنه علم على القاهرة، وكانت القاهرة أيام السلاطين تموج بأمثال هذه المنشآت العمرة من ربط وفنادق وخانات ووكالات شهيرة دثر معظمها أيام العصر التركي. وفي خطط المقريزي بيانات شائقة عن هذه المنشآت التي لعبت مدى عصور دوراً كبيراً في الحياة الاجتماعية المصرية.

أما اليوم فان القاهرة التي تغص بالآثار والصروح التاريخية العامة لا تعرف شيئاً من هذه المنشآت الخاصة التي يسبغ عليها القديم جلاله، والتي تساير الحياة الاجتماعية في عصورها ومراحلها المتعاقبة

* * *

مما يلفت نظر السائح في مدينة أنزبروك عاصمة التيرول فندق «النسر الذهبي» Goldene Adler، وهو صرح متواضع يقوم على صف من الحنايا المعقودة على الطراز القوطي؛ ولكن هذا الصرح المتواضع يقوم حيث هو، ويؤدي نفس مهمته في إيواء السياح وإطعامهم منذ نحو خمسمائة عام، وفي مدينة انزبروك القديمة Alte Stadt التي تمتاز بدروبها الضيقة وأبنيتها القوطية العتيقة، عدة من هذه الفنادق والمطاعم القديمة التي طوت أجيالاً عديدة من حياتها؛ ولكن «النسر الذهبي» يمتاز عنها جميعاً بتاريخه المجيد؛ فقد حفلت غرفه الضيقة وأبهاؤه المنخفضة التي لم يغير تعاقب الزمن شيئاً من أوضاعها بكثير من الملوك والعظماء في مختلف العصور؛ وقد وضعت على بابه لوحتان من الرخام نقشت عليهما أسماء هؤلاء الملوك والعظماء وتواريخ نزولهم فيه؛ ولفت نظرنا بين هذا الثبت بنوع خاص اسم أمير تونس حيث نزل في فندق النسر الذهبي مع حاشيته في سنة ١٥٤٠م، واسم يوهان فولفجانج فون جيته شاعر ألمانيا الأكبر حيث نزل فيه سنة ١٧٩٨م، وأسماء عدة أخري من ملوك أوربا وأمرائها نزلوا فيه في القرن السادس عشر أو السابع عشر أو الثامن عشر؛ وإن الانسان ليتلو هذا الثبت التاريخي الحافل متأثراً، وهو يرجع بذهنه إلى تلك التواريخ والعصور البعيدة فيأخذه شعور من الإجلال والروع لهذا القديم التالد الذي ما زال يمتلئ حياة ورغبة في مسايرة الزمن. ولقد كان مقام جيته في فندق «النسر الذهبي» حادثاً ذا أهمية خاصة خلدت ذكراه إلى يومنا باقامة مطعم باسم جيته إلى جانب الفندق ما زال مقصد الواردين من كل صوب، يجذبهم اسم الشاعر وذكراه قبل أن تجذبهم الأطعمة الشهية التي يتناولونها، وروح الشاعر ترفرف عليهم

وتوجد بالمدينة أيضاً عدة منشآت أخرى من فنادق ومطاعم وأبهاء للنبيذ Weinstude يرجع معظمها إلى قرنين أو ثلاثة قرون ومنها بهو النبيذ الشهير «أوتوبرج» الذي يرجع قيامه إلى نحو قرنين، ولا زال حيث هو يشرف على نهر «إن» ويقوم بنفس مهمته في استقبال الآكلين والشاربين

وفي العاصمة النمسوية (ڤينا) جملة كبيرة من هذه الفنادق والمقاهي التاريخية التي قطعت قروناً من أعمارها، وشهدت عصور الامبراطورية الزاهرة، ولم تؤثر في حياتها أحداث الزمن، ولا زالت تقوم في جنبات العاصمة النمسوية تسطع بالليل كأنها قطع من النور؛ وهي تزهو جميعاً بماضيها كما تزهو بحاضرها. وقد يضيق بنا المقام إذا حاولنا هنا تعداد الأمثلة، وربما أتيحت لنا بعد فرصة

أخرى للتحدث عن هذه المقاهي الشهيرة التي تلعب أكبر دور في الحياة الاجتماعية النمسوية ، ولكنا نذكر سبيل على التمثيل مثلين يلفتان النظر بحق : أولهما مطعم « لنـده » Linde الشهير الذي يقوم حيث هو منذ أكثر من خمسمائة عام في شارع « البرج الأحمر » ، (روتنتوم) والذي شهد حصار الترك الأول للعاصمة النمسوية سنة ١٥٧٠ م ، واحتفل منذ حين بمرور خمسمائة عام على قيامه ، ومن الشائق أن ترى تاريخ إنشائه منقوشاً على ما يقدم إليك من آنية الطعام ، فيذكرك دائماً بعمره المديد وماضيه الحافل ؛ والثاني مثل « منزل الطرب » Lusthaus الشهير في حي براتر ، وقد أنشئ في أوائل القرن السادس عشر ، ولا يزال يقوم حيث هو ؛ وهو اليوم مطعم ومرقص ، ولكنه كان من قبل منزل راحة ورياضة ملكيا ؛ وقد بدأ حياته الجديدة من نحو قرن وكان خلال القرن الماضي مسرحاً لعدة من الحوادث الاجتماعية الشهيرة ، وكان بالأخص منتدى محبوباً للأرشيدوق رودلف فون هبسبرج ابن الامبراطور فرانز يوسف وولي عهده ، يقصده مع صحبه لقضاء السهرات المرحة ، ولا زالت ذكريات هذا الأمير المنكود الذي زهق في ريعان شبابه في ظروف غامضة ، ماثلة في هذا البهو الأنيق تطوف بزائريه ، وتذكرهم بالمأساة الشهيرة التي اقترنت بمصرعه في يناير سنة ١٨٨٩ م

وفي معظم العواصم الأوربية نجد أمثال هذه المنشآت تذكر السائح المتجول بالمناسبات والعصور التي قامت فيها ، وتقدم إليه طائفة من الذكريات السابقة التي يلذ استعراضها وتأملها

***

وهـذه المنشآت الاجتماعية القديمة فضلا عن كونها تزين العواصم الجليلة ، تلعب في الواقع دوراً عظيما في الحياة الاجتماعية الخارجية ؛ وكثير منها يعتبر بحق نوعا من الآثار القيمة التي يجب المحافظة عليها لا من الوجهة الأثرية أو الفنية لأن معظمها يتطور ويتجدد من هذه الناحية مسايراً للعصر وللحياة ، ولكن حرصا على قديمها وعلى تراثها من الذكريات القديمة التي امتزجت بحياة المدينة وحياة الشعب . ولا زلنا نذكر بهذه المناسبة تلك الضجة التي قامت منذ أعوام في الصحف الفرنسية بمناسبة هدم البناء القديم الذي كان يشغله الملهى الباريزي الشهير المسمى « بالطاحونة الحمراء » (مولان روج) عند ما أريد تجديد الشارع الذي يقوم فيه فقد ثارت الصحف يومئذ لهذا الإجراء وعز عليها أن يختفي هذا الملهى الشهير الذي امتزجت ذكرياته الساحرة بالحياة الباريزية الليلية حيناً من الدهر ، وأصبح من أشهر المنتديات الاجتماعية التي تجذب كل زائر لباريس

وفي معظم الأحيان تقترن أسماء هذه المنشآت الاجتماعية القديمة بأسماء كثير من الشخصيات التاريخية ، فنجد مقهى أو منتدى معيناً يؤمه كتاب العصر وشعراؤه ، وفي هذا المقهى يجتمعون ويتسامرون ، ويكتبون وينظمون ، وفيه تتفتح مواهب الكثير منهم ، وفيه يتألق نجم بعضهم وتسبغ أسماؤهم فيما بعد على المكان كثيراً من رنينها وشهرتها . فمثلا نجد اسم « المقهى الانكليزي » (كافيه أنجليه) الذي سطع في باريس في أواخر القرن الماضي يقترن بأسماء كثير من أعلام السياسة والتفكير والأدب في هذه الفترة ، وفيه بزغ مجد الكثير منهم

والخلاصة أن الفنادق والمقاهي التاريخية تستحق أن تؤرخ كما تؤرخ الهياكل والصروح الأثرية ، وإذا كانت الهياكل والصروح العظيمة تجد دائماً من يتصدى لدراستها وتاريخها من النواحي الأثرية والفنية ، فان الفنادق والمقاهي تستحق أن تدرس من وجوه أخرى تمت بأكبر الصلات إلى تاريخ المجتمعات التي تقوم فيها ، وتاريخ الأخلاق والعادات الشعبية ، وهي وجوه لا تخفى أهميتها . ولقد قرأت منذ أعوام في إحدى الصحف الفرنسية عدة مقالات شائقة لأحد مشاهير الكتاب « حياة مقهى باريزي عظيم » فأعجبت بطرافتها وتلاوتها ووددت لو أننا نستطيع أن نقدم إلى قرائنا مثل هذه الصور الاجتماعية الساحرة .

ورحم الله مؤرخنا الكبير تقي الدين المقريزي إذ فطن منذ خمسة قرون إلى أهمية هذه النواحي الاجتماعية في حياة الأمصار العظيمة فأنفق أعواماً طويلة من حياته في دراسة الأحياء والدروب والصروح والمعاهد والمنتديات الاجتماعية ، وقدم إلينا في «خططه» مجموعة من الصور الاجتماعية والشعبية لمدينة القاهرة حتى عصره ولم ينس الفنادق والمقاهي التاريخية

(بادن فينا) في منتصف سبتمبر

محمد عبد الله عنان

الأزهر وطريق إصلاحه

ربط حاضر الأمة بماضيها

للدكتور محمد البهى قرقر

ليست فكرة إصلاح هذا المعهد العظيم حديثة النشأة؛ وليست كل محاولة لإصلاحه كانت ناجحة؛ وليس كل من قام بأمر الاصلاح فيه كان موفقاً. ولا أريد هنا أن أسرد الأدوار التى مر بها الإصلاح، وعدد الخطوات التى أخفق فيها المسعى، والأخرى التى كان له فيها بعض النجاح؛ إذ كل باحث فى أمره يوقن أن الخطوة الأولى التى كانت موفقة فيه هي التى خطاها الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، وأنه هو الذى يعتبر أول مصلح كانت له فكرة، وبجانبها شخصية ذات إرادة مستقلة، وبسببه حافظ الأزهر على حياته، وإن كانت حياة الهرم الذى تعوزه زيارة الطبيب الحاذق من وقت إلى آخر. وبالرغم من وهن هذه الحياة كان ما قام به الإمام هو دور المصلح وداعية البطولة فى زمنه

استمر الأزهر بعد ذلك فى حياته التى يحس فيها بضعف، تارة يشتد إذا لم يجد فى طبيبه صفة المهارة — وكثيراً ما كان ذلك — وطوراً يخف إذا واتاه القدر بمن يواسيه أكثر ممن يطببه. تغيرت فيه عدة مناهج واستبدلت نظم بأخرى باسم الإصلاح؛ ومع ذلك لم يتم إصلاح أو لم يتكون أساسه، لأن الإصلاح الذى يجب أن يكون، وبعبارة أخرى الذى يحمل عليه قانون الوجود الحالى المبنى على تنازع البقاء وحياة الأصلح ليس علاجاً مؤقتا وإنما هو إيجاد حياة من نوع آخر، حياة فتوة لها قوة ممانعة ومقاومة وقوة كفاح وهجوم. ظل أمره كذلك حتى هيأ القدر له، وشاء أن يكون تلميذ الإمام، رجلا [1] من أولئك الذين لهم عقول مستقلة بعيدة المدي فى التفكير، ولها قوة إرادة فى التنفيذ فى صمت ورزانة. فأول خطوة ضرورية رآها للإصلاح أنه عمل على إشعار الأمة بالأزهر وإتصال الأزهر بالأمة، فحياته إذن يجب أن تكون من نوع حياة الأمة، ومصر أمة ناشئة فتية

أيدت هذا العمل عقلية [2] أخرى من هذا الطراز — وعقول الإصلاح دائما متفقة متجانسة — ولكنها أشعرت الأمة هذه المرة بصورة أخرى هي أن لا غنى للأمة المصرية ولا للعالم الاسلامى عن الأزهر. ولكن كيف يؤدى رسالته الوطنية والعالمية فى القرن العشرين؟

تنبهت الأذهان وعنى الكتاب والباحثون فى الشئون الاجتماعية والعلمية بهذا الموضوع ودونوا لهم آراء فى ذلك وآسف أنى لم أطلع عليها. وقد يجوز أن يكون هؤلاء قد عالجوا الموضوع من نواح عدة، وأظهروا رغباتهم الاصلاحية لهذا المعهد التاريخى الكبير فى صور يرون فيها مهمته فى العصر الحديث. ربما يكون بعضهم قد تناول مثلا تحديده كمدرسة عالية لفئة خاصة من الأمة يجب عليها قبل الالتحاق بها استيفاء شروط مخصوصة ودراسة إعدادية على نمط خاص أو غير ذلك من التنظيم والمناهج

ولا أريد أن أبحث الآن: كيف يكون الأزهر معهداً نظامياً كمعاهد الحكومة العالية، لأنى لا أبغي أن يكون الأزهر على هذا النمط الآلى، وإنما أريد أن أبحث: كيف يتحول الأزهر إلى جامعة علمية حديثة مع الاحتفاظ بصبغته الماضية التى خولت له أن يكون هو المدرسة الوطنية الوحيدة في مصر فى الوقت الحاضر بحكم اعتمادها على ثقافة الأمة الموروثة، والتى منحته صفة روحية باعتبار أنه المكان الأول فى العالم الإسلامى للعناية بالدين ونشره، ثم كيف يكون الطريق العملى لذلك، إذ كثيراً ما كتب دعاة الاصلاح وكثيراً ما حاول القائمون بأمره أن يصلحوه، ولكنها كانت كتابة يغلب عليها الخيال، ومحاولة كان أساسها تقليد نظم مدارس أخرى: مدارس وزارة المعارف التى هى فى نفسها أيضاً بناء مرقع روعى فيه تقليد رسوم متباينة؛ وهذه المحاولة كادت تخرجه عن الغرض الذى يجب أن يكون له الأزهر والذى كان له منذ قرون مضت

وغاية الأزهر (أولا) تهذيبية علمية وطنية، لأنه يقوم بتربية جزء عظيم من أبناء الأمة ويُعدّه فوق ذلك لتولى عدة مصالح فى الشعب، لا يمكن تعويضه فيها، لها قيمتها فى إصلاح [1] نواحيه الخلقية والاجتماعية، وبالأخص في رعاية الأسرة التى هي الدعامة الأولى فى بناء الأمة. و (ثانيا) دينية عالية لأنه المرجع الأول لحل المسائل الدينية التى لها ارتباط وثيق بالشئون الاجتماعية

(١) فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ المراغى (٢) دولة على ماهر باشا

(١) التهذيب المدرسى، التهذيب الشعبى بوساطة الوعظ، ثم رعاية المحكمة الشرعية للأسرة ومحافظتها على كيانها

والاقتصادية لأمم العالم الاسلامي والتي يتوقف تقدم تلك الأمم أو تأخرها بنسبة كبيرة على فهم الروح الدينية (الفقهية) أو عدم فهمها لهذه المسائل الحيوية

ومن يفكر أو يحاول أن يحمل غيره على أن يعتقد أن غاية الأزهر روحية بالمعنى الكنسي ، فبعث تفكيره هذا التقليد السلبي الذي طغى على النواحي العقلية في مصر الحديثة ، ومنشأ محاولته جهل أو تجاهل بالتاريخ أو سوء فهم للاسلام وللأزهر ولأثره في تكوين النهضة الوطنية ، أو هو نفسه لايقيس الوطنية إلا بمقياس العاطفة ، وما كانت العاطفة في يوم من الأيام إحدى الدعامات في بناء راسخ !

ولكن الأزهر الآن يؤدي مهمته كما كان يؤديها في الغابر من تلقين ما للماضي من ثقافة ؛ وربما يُدَّعى أن هذا التلقين وحده لا يُعد الناشئة للكفاح في الحاضر ولا يقرب فهم المسائل الدينية والاجتماعية من ضوء الواقع الحالي ، فذلك التلقين لايفي لهـذا بالغاية من وجود الأزهر ، لأنه أداء جزء من مهمة يجب أن يتصل به توأ أداء البقية وهي ربط الحاضر بالماضي . وهذا هو الطريق العملي ، فيما أظن ، لتحقيق غاية الأزهر التهذيبية والدينية

ربط الحاضر بالماضي ليس معناه ضم ثقافة أجنبية جديدة على حدة إلى ثقافة الماضي ، وإضافة علوم حديثة مستقلة إلى ما كان للأمة في الأزمان الغابرة ، وإنما هو السير في البحث العلمي على أثاث الثقافة الموروثة ، ولكن في ضوء مقتضيات العصر الحاضر . وهذا السير يتطلب التخصص في العلوم المختلفة ولكن في موضوعات الفن الواحد . فمثلا في الفقه يجب أن يكون هناك أساتذة فنيون في موضوعاته مزودون بثقافة أخرى لها ارتباط وثيق بالموضوع المتخصص فيه . فيجب أن نرى أساتذة في *الفقه الجنائي* ، وهو يشمل على سبيل التقريب : الديات وفرض مبدأ التعويض المالي . التعزير بالحبس . القصاص . إعفاء الوالي من إقامة الحد إذا رأى المصلحة العامة في ذلك ... وأساتذة في *الفقه المدني والتجاري* ، وهو يشمل على سبيل التقريب : عقود البيع ، نظرية الربا وربط الفائدة . الرهن . الايجارة ، الشفعة . عقود الشركات المختلفة . مبدأ الضمان والكفالة . الهبة . الوصية ... وأساتذة في *فقه الاحوال الشخصية* ، وهو يشمل على سبيل التقريب : عقد النكاح ، حقوق الأسرة . النفقة ، الارث ، نظرية إثبات النسب والتبني وعلاقة ذلك بالمجتمع وتكوين الأسرة . نظرية الحضانة الفردية وارتباطها (1) بنظرية قيام الدولة بالعناية بالأطفال إجبارياً لشقاق في العائلة أو طروء جنون على أحد الزوجين أو ما شاكل ذلك ... وأساتذة في *الفقه الاداري والسياسي* ، وهو يشمل على سبيل التقريب : معاملة الأجانب ونظرية الأقلية في اعتبارها هيئة منعزلة لها احترام عاداتها مالم تخل بنظام الأكثرية وعليها ضريبة (الجزية) للقيام برعايتها وحفظ مصالحها . مبدأ الجهاد . قوانين الأسر والعتق . مبدأ الشورى في نظام الحكم الداخلي . مبدأ التفويض للوالي . الاستقلال في السياسة الخارجية (نحو العدو مثلاً) وإعلان الحرب

وفي الفلسفة والأخلاق يجب أن يكون هناك أيضاً فنيون في موضوعاتها المختلفة على هـذا النمط ، فإخصائيون في *فلسفة الاسلام* ، وتشمل على سبيل التقريب : محافظة الاسلام على وحدة الأمة والرغبة في عدم تصدعها . نظرية الايمان بوحدة الخالق . تفضيل صلاة الجماعة . ضرورة الاجتماع كل أسبوع في مكان واحد لا فرق بين غني وفقير ورفيع ووضيع لتجديد عهد الأخاء وهو الغرض من صلاة الجمعة . ضرورة اجتماع أغنياء مسلمي العالم في أول مكان للدعوة الاسلامية كل عام لتذكر عهد النشأة والاستمرار في التمسك بالعقيدة والعمل على نشرها ، وهو الغرض من الحج . العمل على إشعار ذوي النفوذ المالي بوجوب العطف على الفقراء إبقاء لمالهم في أيديهم وقمعاً لثورة نفسية بين الطبقات المعدمة ربما تتبعها ثورة أخرى اجتماعية (بلشفية) تقلب نظام الحكم في الأمة وتنزع رؤوس الأموال من أيدي أصحابها . . وهو الغرض من الزكاة . واخصائيون في *الفلسفة الاسلامية* ، وتشمل على سبيل التقريب : لا حكاية ما قال ابن سينا وتبعية

(١) هو نظام حكومي في ألمانيا وفي بعض بلدان أوربا يعرف هنا باسم « Soziale Fürsorge » وغايته وقاية الطفل في الصغر من تأثر نفسه بالشقاق الحاصل في العائلة أو من أي خلل آخر يطرأ في بنائها ويكون من ورائه تحوير سلوكه الشخصي لشقائه هو أو شقاء المجتمع الذي هو فيه بسببه فهو تدبير حكومي للوقاية من أمراض اجتماعية

ابن رشد لأرسطوطاليس وأمثال ذلك مما ينقل فحسب ، وإنما قبل كل شيء بيان منزلة الفلسفة الإغريقية ، وهي الفلسفة الإلهية وعلاقتها بعلم «التوحيد» الاسلامي، ثم مقدار نصيب الاسلام من هذا العلم . ثم بيان مساهمة العلماء الاسلاميين ومساهمة الثقافة الاسلامية في خلق فلسفة إسلامية وتكييفها ... وإخصائيون في *أخلاق الاسلام والأخلاق الاسلامية* : وتشمل على سبيل التقريب : المبادىء الخلقية التي جاء بها الاسـلام . مقارنة ذلك بالنظريات الأخلاقية الاسلامية التي اشتغل بها علماء الاسلام والتي قد لا يمت[1] بعض مبادئها إليه بصلة إيجابية . مقارنة ذلك أيضاً بالنظريات الخلقية الحديثة . دراسة المبدأ الخلقي ونظرية اعتباره المطلق أو المقيد ...

وهذا التخصص ليس تبويباً جديداً أي صورياً فحسب ، وإنما هو أبحاث علمية مستقلة يجب على من يقوم بها دراسة ما يشبهها في الثقافات الأخرى حتى يتكون مبدأ المقارنة والاستنتاج ، ثم يتبعه مبدأ التطبيق العملي ، وهما من عوامل التقدم في البحث العلمي ، لأن حكاية ما قيل فقط لا يسمى بحثاً فضلا عن وصفه بالعلمي . فأسـتاذ الفقه الجنائي مثلاً يجب أن يدرس علم النفس الجنائي: Kriminal psychologie ، الذي هو مختص ببحث أنواع الإجرام النفسي ، ثم بحث التشريع الجنائي الحديث وكيفية بنائه على التجارب النفسية بوساطة هذا العلم . وأسـتاذ الفقه المدني والتجاري عليه أن يلم بالنظم الاقتصادية الحديثة . وأستاذ الفقه السياسي ينبغي أن يلم بالتاريخ الاقتصادي والسياسي وبفلسفة[2] الحرب وفلسفة مبـدأ حكم الأقليات .

وبواسطة هذا يتسنى لهؤلاء الأساتذة لا بيان مزايا الدين الإسلامي فحسب في هذه الموضوعات مثلاً، بل حمل الأمم الإسلامية على الاعتماد في تشريعها الحديث في كل أنواعه على مبادىء الفقه الإسلامي، ثم في الوقت نفسه رد حملات العلماء الأجانب على الإسلام التي سببها الجهل أو الرغبة في إبعاد المسلمين عن اتباع دينهم باسم « خدمة العلم » و « حرية البحث » حتى يدب فيهم ضعف الشقاق ، بين المصمم على اتباعه وبين الواهم في التخلي عنه ، بين « الرجعي » و « المجدد » وبين « القديم » و « الحديث » . وما خدمة العلم هنا إلا الرغبة في السيادة واستمرار سيطرة « الحضارة الأوربية » على الشرق الإسلامي

وعلى هـذا النمط في التخصص يسير الأمر في العلوم الأخرى . وبخاصة تجب مراعاة هذه القاعدة بدقة في قسم الوعظ والإرشاد . ففضلا عن أن تتبع فيه دراسة أساليب التبشير الحديث يلزم دراسة نفسيات الشعوب الاسلامية المختلفة وعاداتها ولغاتها . وبناء على هـذه الدراسة الأخيرة ينشأ التخصص والتوزيع ، فيجعل : قسم للوعظ والارشاد للشعب المصري : فالنوع العَمَلي منه : يتولى قبل كل شيء بحث نفسية المجرمين ونوع الاجرام الذي يرتكب بكثرة بمساعدة الاحصائيات الرسمية لذلك ، ثم دراسة أسلوب الوعظ الذي يمكن أن يؤثر في مثل هذه النفسية ويحملها على الاقلاع أو التقليل من هذا الاجرام ...

والنوع الثقافي الآخر : يتولى الإعداد لتهذيب شعبي مبني على البساطة ، وكيفية الخطابة في المساجد ، وإعطاء دروس للشعب فيما هو في حاجة إليه من الثقافة الخلقية والواجبات الفردية والجمعية

ويجعل قسم للوعظ والدعاية : لشعوب الشرق الأدنى
« « « : لسكان الشرق الأقصى والهند وجاوة
« « « : لشعوب البلقان
« « « : لسكان السودان والحبشة وجنوب أفريقيا
« « « : لسكان أمريكا الجنوبية

وفي كل قسم من هـذه الأقسام تدرس فضلاً عن لغـة الشعب ، القواعد الخلقية التي يسير عليها، والمذهب الفقهي السائد فيه . وبناء على هذه الدراسة تحدد موضوعات الوعظ الديني التي تجب دراستها في كل قسم ، لأن الغاية من الوعظ هي حمل الشعب بطريق التأثير في نفسه على اتباع قواعد خلقية معينـة يقتضيها النظام العام لحفظ وحدة الأمة وبغية سعادتها . والغاية وإن كانت واحدة فإن الطرق إليها مختلفة لضرورة اختلاف النفسيات التي

---

(١) فبعض مبادىء الأخلاق التي توصف بالاسلامية وبالأخص الصوفية والتي عني بها علماء القرن الرابع الهجري هي مبادىء مدرسة الأسكندرية ، المدرسة الأفلاطونية الحديثة التي تأثرت بالأخلاق الدينية اليهودية ثم المسيحية

(٢) للأستاذ الفيلسوف الألماني هيجل Hegel في هـذا الموضوع نظريات فلسفية عظيمة الشأن ، هي أساس فلسفة هذا النوع في أوربا على العموم

تخضع فى تكونها إلى الوراثة والتربية الأولى والمجتمع فيما بعد ، وهذه العوامل ليست متشابهة فى كل أمة

هذا فضلا عن أن دراسة نفسيات هذه الشعوب وثقافتهم هى فى نفسها دراسة إسلامية يرجى من ورائها تعارف الأمم الإسلامية وتزايد الرابطة بينها

وبهذه الأهمية أصبحت دراسة علم النفس التجريبي اليوم ، ومن خصائصه وصف النفسيات المختلفة للأفراد والأمم ، العامل الأول فى السيطرة على النفوس إما لغرض إصلاحها أو بغية استعمارها . ولم يعن الأوربيون بدراسة النفس الشرقية على ضوء التجارب والسلوك الشخصي وكذا بقية الأمم الضعيفة وإنشاء المعاهد [1] المختلفة لدرس ثقافاتهم وأديانهم ولغاتهم حباً أفلاطونيا فى العلم وغراماً خيالياً بالبحث ، وإنما عنوا بها رغبة فى السيطرة والإستعمار العسكرى أو التجارى

وإذا كان التخصص فى الموضوعات الفنية يحتاج إلى الاتصال بالأوساط العلمية الأخرى ، الأجنبية عن الأزهر ، فإن التخصص فى أقسام الوعظ أشد احتياجاً إلى الاتصال بالشعوب الاسلامية المنتشرة فى بقاع الأرض ودراسة أحوالها النفسية والشعبية لبناء الوعظ على أساس متين تكون من ورائه الفائدة محققة ، وتتقوى بذلك رابطة مصر العلمية والأدبية بالأمم الإسلامية الأخرى ، وهى رابطة يجب أن نحافظ عليها لأنها سبب عظمة مصر فيما بينها وتعلق تلك الشعوب بها

وبهذا يكون للأزهر صلة حية بالشعب إذ يصبح المدرسة العالية لثقافة وطنية مؤدية لمقتضيات العصر الحاضر ، ومعهد البحث للتشريع الوطنى الحديث ؛ وفى الوقت نفسه يقوم برسالته الروحية فى بقية العالم الاسلامي ، ومن ورائها يؤدى رسالة مصر الأدبية فى الخارج . وماهذه المنزلة العالية التى تتمتع بها مصر اليوم فى الشرق إلا لهذه الصلة الروحية واعتقاد أن مصر تملك أكبر مكان للدراسات الاسلامية كما تملك مكة المكرمة أول مكان للدعوة إلى الاسلام . ولولا الأزهر لما نالت مصر تلك المنزلة بين الأمم الشرقية ، فهى تمثل سياسياً تقريباً فى كل بلدان العالم الأخرى التي لاتتصل بالاسلام اتصال تدين ، وتنفق على ذلك مبالغ جسيمة ، ومع هذا فمصر الحديثة صاحبة النهضة التى لاتقل شأناً عن نهضة كثير من بلدان أوربا الجنوبية والشرقية مازالت هنا فى أوربا هى مصر الافريقية

إن الأزهر قارب أن يبلغ ألف سنة ، وتلك مفخرة لم تصل إليها إحدى الجامعات العالمية بعد ، والعالم يريد أن يرى رؤية محسوسة مبلغ التطور الذى وصل إليه والذى هو مقياس نهضة مصر العلمية الوطنية ، لا التقليدية ، ويعرف أى القواعد يسير عليها فى بحثه ، وأية نظرية يأخذ بها فى تأدية رسالته ، بعد ما وقف بالبحث عند طريقة [1] القرون الوسطى زمناً طويلا وبعد ما كان فى حيرة من أمر رسالته ، حيرة سببها عدم معرفته بها

إن مصر اليوم والعالم الاسلامى يشهد بما لفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ المراغى من عمل جدى ملموس فى إصلاح هذه الجامعة العالية ويعترف بقدرته على إتمامه اعترافاً مرجعه الاقتناع بأن له شخصية مصلح في التاريخ الحديث ، وما أقل وجودها في العالم وأندرها فى مصر وأشدها ندرة فى الأزهر . كل يعقد عليه أملاً كبيراً ، أمل البناء والتشييد فى الاصلاح . كل يرتقب ثورة فكرية ، وانقلاباً إصلاحياً له حدثه التاريخى ؛ فالوقت تأخر ، والحاجة ماسة ، والعقول متهيئة لهذا الانقلاب ، والنفوس ملت هذه التعديلات الصورية

مولاى المراغى : إذا كان المصلح الأول والوحيد قبلك وهو الأستاذ الامام ، قد حافظ على حياة الأزهر فحسب ، ولم يتركه لك فتياً بل سلمه إليك كهلا يعانى ألم الضعف ، فإن ذلك ما أمكنه وأمكن زمنه معه أن يؤديه للأمة والتاريخ ؛ ولكنك أنت فى زمن توفرت فيه وسائل الاصلاح وانبثقت روح الشباب والتجدد فى كل شيء ، فمهمتك من هذا النوع ، ولها حباك القدر بتلك الشخصية ، وبتأديتها ستكون موضوعاً للتاريخ والبحث

محمد البهى قرقر
دكتور فى الفلسفة وعلم النفس
وعضو بعثة الامام الشيخ محمد عبده

(١) فى ألمانيا يوجد فى كل جامعة من جامعاتها وهى ١٧ جامعة عدة معاهد مختلفة لهذا النوع من الدراسة كمعهد ثقافة الشرق الأدنى ، المعهد الصينى ، المعهد الأفريقي ، معهد سكان جزر الملايا وجاوة ، معهد درس ثقافة أوربا الشرقية وبلاد البلقان ... وكان يطلق عليها فيما قبل معاهد الاستعمار

(١) تلك الطريقة هى تكرار رواية المنقول ، الجدل فى الصور والألفاظ ، قصر التهذيب على الناحية العقلية . شحذ الذهن وقلة الاهتمام بالناحية النفسية الأخلاقية وانعدامه بالنسبة للناحية الجسمية التي أثبت علم النفس التجريبي اليوم مدى ارتباطها بالجانب العقلي والنفسي وأثر تربيتها فى تكوينهما تكويناً إيجابياً

صاحب النحلة السنانية

رسالته، دهاؤه، بيانه

لأستاذ جليل

ذكر العلامة الأستاذ محمد كرد على فى مقاله المحقَّق: (ابن العديم وتآليفه) فى (الرسالة) الغراء — الجزء ٢٢٠ فى ١٤ رجب ٥٦ — سنانا الاسماعيلى (صاحب النحلة السنانية أو الحشيشية [1]) وروى أبياتاً من شعره، وأشار إلى رسالته إلى السلطان صلاح الدين. وقد رأيت أن أنشر تلك الرسالة الأنيقة لنفاستها، وقد نقلت — كما قال ابن خلكان — من خط (القاضى الفاضل) وما قولك فى شيء يعجب عبد الرحيم البيسانى فينسخه بنفسه؟ ثم أوردُ ما أملاه صاحب (شذرات الذهب) من أنباء سنان هذا وفيه حديث عجيب فى الكيد أو الدهاء مابلغ دهاة منا كير مبلغه، ولا سمع السامعون شبهه. ثم أروى (بيانا) لسنان إلى جماعته لجلالة قيمته فى تاريخ النحل وقد عثر عليه العربانى [2] (م. ستان جوارد) ونقله إلى الفرنسية. و(البيان) يبين لنا أن (أبا الحسن راشد الدين) قد ادعى دعوى الجماعة فى الألوهية أو حاولها، ولم يشأ أن يحتكرها في القاهرة محتكرون، ويستبد بها فاطميون — كما يقولون — أو عبيديون، وهو قد عرف من (أسرار الدعوة ...) ما عرفوه ... وما حل فى مصر حل مثله فى الشام ...

***

الرسالة

يا للرجال لأمر هال مُفظِعهُ   ما مر قط على سمعى توقّعهُ

قام الحمام إلى البازي يهدده   وكشّرت لأسود الغاب أضبعه

أضحى يسد فم الأفعى بأصبعه   يكفيه ماقد تلاقى منه أصبعه

ياذا الذى بقراع السيف هددنى   لاقام مصرع جنبي حين تصرعه

إنا منحناك عمراً كى تعيش به   فإن رضيت وإلا سوف ننزعه [1].

وقفنا على تفاصيله وجمله، وعلمنا ما هددنا به من قوله وعمله؛ فيالله لِلعجب من ذبابة تطن فى أذن فيل، وبعوضة تعد فى التماثيل. ولقد قالها من قبلك قوم آخرون فدمرنا عليهم وما كان لهم من ناصرين. أوَ للحق تُدحضون [2]، وللباطل تنصرون «وسيَعْلمُ الذين ظلموا أىَّ مُنقلَبٍ ينقلبون». وأما ماصدر من قولك فى قطع راسى، وقلعك لقلاعى من الجبال الرواسى، فتلك أمانىّ كاذبة، وخيالات غير صائبة، فإن الجواهر لاتزول بالأعراض، كما أن الأرواح لاتضمحل بالأمراض. كم بين قوى وضعيف، ودنى وشريف! وإن عدنا إلى الظواهر والمحسوسات، وعدلنا عن البواطن والمعقولات، فلنا أسوة برسول الله فى قوله: ما أوذى نبى كما أوذيت. ولقد علمتم ماجرى على عترته، وأهل بيته وشيعته، والحال ما حال، والأمر ما زال، ولله الحمد فى الأولى والآخرة، إذ نحن مظلومون لاظالمون، ومغصوبون لا غاصبون «وقل جاء الحق وزهق الباطل، إن الباطل كان زهوقا» ولقد علمتم ظاهر حالنا، وكيفية رجالنا، وما يتمنونه من الفوت [3]، ويتقربون به إلى حياض الموت. قل «فتمنوا الموت إن كنتم صادقين. ولن يتمنوه أبداً بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين» وفى أمثال العامة السائرة: (أوَ للبط، تهددين بالشط) فهيء للبلايا جلباباً، وتدرع للرزايا أثواباً، فلأظهرنّ عليك منك، ولأفنينهم فيك عنك ... فتكون كالباحث عن حتفه بظلفه [4]، والجادع مارن [5] أنفه بكفه «وما ذلك على الله بعزيز» فاذا وقفت على كتابنا هذا فكن لأمرنا بالمرصاد، واقرأ أول (النحل [6]) وآخر (صاد [7])

(١) فى (كتاب الروضتين): «وكاتبوا سنانا صاحب الحشيشية» والسنانية أو الحشيشية فرقة من الاسماعيلية والاختلاف بينهما قليل كما قال ستان جوارد

(٢) العربانى: عارف العربية من العجم

(١) قلت: لم تستمر هذه المنحة ... وقد حاولت الجماعة غير مرة اغتيال (بطل المسلمين) «والله يعصمك من الناس»

وإلا سوف الخ: القول عند بعضهم: وإلا فسوف، وحذف الفاء مختص بالضرورة وفى (إعراب القرآن): (إن ترك خيراً) فجوابه عند الأخفش (الوصية) واحتج بقوله (من يفعل الحسنات الله يشكره قلت: إن صح مذهب الأخفش فالحجة قول (الكتاب) المعجز لا قول الشاعر...

(٢) دحضت الحجة: بطلت، وأدحضها: أبطلها (٣) فوت الحياة

(٤) من المثل وأصله: (حتفها تحمل ضأن بأظلافها) ومن شعرهم:

وكانت كعنز السوء قامت بظلفها   إلى مدية تحت الثرى تستثيرها

(٥) مارن الأنف طرفه والقول من مقدمة المقامات

(٦) أتى أمر الله فلا تستعجلوه (٧) ولتعلمن نبأه بعد حين

الخبر

وفى سنة (٥٨٨) توفى راشد الدين أبو الحسن سنان بن سلمان مقدم الاسماعيلية، وصاحب الدعوة بقلاع الشام. وأصله من البصرة، قدم إلى الشام فى أيام نور الدين، وأقام فى القلاع ثلاثين سنة، وجرت له مع السلطان صلاح الدين وقائع وقصص، ولم يعط طاعة قط، وعزم السلطان على قصده بعد صلح الفرنج، وكان (سنان) قد قرأ كتب الفلسفة والجدل

قال المنتجب: أرسلنى السلطان إلى سنان مقدم الاسماعيلية ومعي القطب النيسابورى، وأرسل معنا (تخويفاً وتهديداً) فلم يجبه بل كتب على طرة كتاب السلطان: (الأبيات فى الرسالة المتقدمة) ثم كتب بعد الأبيات خطبة بليغة (هي تلك الرسالة) مضمونها عدم الخوف والطاعة، فلما يئس صلاح الدين منه جنح إلى صلحه، ودخل فى مرضاته

قال اليونينى فى تاريخه: إن سناناً سير رسولا وأمره ألاّ يؤدى رسالته إلا خلوة، ففتشه السلطان صلاح الدين فلم يجد معه ما يخافه فأخلى له المجلس إلا نفراً يسيراً فامتنع من أداء الرسالة حتى يخرجوا فخرجوا كلهم غير مملوكين صغيرين فقال: هات رسالتك، فقال: أمرت ألاّ أقولها إلا فى خلوة فقال: هذان ما يخرجان

قال: ولِمَ؟

قال: لأنهما مثل أولادى

فالتفت الرسول إليهما وقال: إذا أمرتكما عن مخدومى بقتل هذا السلطان تقتلانه؟

قالا: نعم، وجذبا سيفيهما. فبهت السلطان، وخرج الرسول وأخذهما معه فجنح صلاح الدين إلى الصلح وصالحه. ودخل فى مرضاته

***

البيان

« بسم الله الرحمن الرحيم: فصل من اللفظ الشريف للمولى راشد الدين عليه السلام، وهو أفضل البيان تقوتى [1] بربى لا إله إلا هو العلى العظيم. أيها الرفقاء، غبنا عنكم غيبتين: غيبة تمكين وغيبة تكوين؛ واحتجبنا عن أرض معرفتكم، فضجت الأرض، وتقلقلت السموات، وقالت: يا بارى البرايا الغفور، فظهرت بآدم، وكانت الدعوة حواء، فحوينا على قلوب المؤمنين الذين ضجت أرض قلوبهم شوقاً إلينا، فنظرنا فى سماء نفوسهم رحمة منا، فمضى دور آدم ودعوته، ونفذت رحمة منا فى الخلائق حجته. ثم ظهرت بدور نوح فغرقت الخلائق فى دعوتى، فنجا بدعوتى ولطفى من آمن بمعرفتى، وهلك من الخلائق من أنكر حجتى. ثم ظهرت فى دور إبراهيم على ثلاث مقالات: كوكب وقمر وشمس فخرقت السفينة، وقتلت الغلام، وأقمت الجدار جدار الدعوة فنجا بلطفي ورحمتى من آمن بدعوتى؛ وخاطبت موسى بخطاب ظاهر غير محجوب للسائل هرون، ثم ظهرت بالسيد المسيح فمسحت بيدى الكريمة عن أولادى الذنوب فأول تلميذ قام بين يدى يوحنا المعمدانى، وكنت بالظاهر شمعون، ثم ظهرت بعلى الزمان وسترت بمحمد، وكان المتكلم عن معرفتى سلمان، ثم ذرّ أبو الذر الحقيقى فى أولاد الدعوة القديمة بقيام قائم القيامة حاضراً موجوداً فما تمّ لكم الدين حتى ظهرت عليكم براشد الدين فعرفنى من عرفنى وأنكرني من أنكرنى، وأنا صاحب الكون ما خلت الدار من أفراخ القدم. أنا الشاهد والناظر، ولى الرحمة فى الأول والآخر، فلا يغرنكم تقلب الصور؛ تقولون فلان مضى وفلان أتى، أقول لكم أن تجعلوا الوجوه كلها وجها واحداً، ما يكون فى الوجود حاضراً موجوداً صاحب الوجود! لا تخرجوا عن أمر ولى عهدكم من عربها وعجمها وتركها ورومها فأنا المدبر، ولى الأمر والارادة. فمن عرفنى باطناً قد تمسك بالحق، ولا تكمل معرفتى بغير ما أقول. عبدى أطعنى واعرفنى حق معرفتى أجعلك مثلى حياً لا تموت وغنياً لا تفتقر، وعزيزاً لا تذل. اسمعوا وادعوا تنتفعوا. أنا الحاضر وأنتم الحاضرون بحضرتى. أنا القريب الذى لا أغيب، فإن عذبتكم فبعدلى، وإن عفوت عنكم فبكرمى وفضلى، أنا صاحب الرحمة وولى الغفر والحق المبين، والحمد لله رب العالمين، وهذا بيان »

هذا بيان راشد الدين وقد أنشر أمثاله من رسائل العبيديين بعد حين

(قارىء)

(١) قد يكون الأصل قوتى أو تقوى بالاضافة إلى ياء المتكلم أو أنها من لغة الجماعة

الأزهريون والخدمة العسكرية

للدكتور محمد عبد الله ماضى

فى الأيام الأخيرة قامت ضجة حول ما أشيع من عزم وزارة الحربية المصرية على وضع تشريع يقضى بتجنيد حملة القرآن الشريف، وطلبة العلم بالمعاهد الدينية، حتى أن بعض الهيئات المحترمة قررت استنكار هـذا الأمر، ورأت فيه مالا يتناسب وحرمة الدين، وما يتنافى مع تكريم أهله. ولعل لأصحاب هذا الرأي بعض العذر، ولعل لديهم من القرائن البعيدة عن جوهر الموضوع ما حملهم على الاستنكار، وجعلهم يرون فى مثل هذا التشريع مساساً بكرامة الدين وأهله؛ ولكنى أريد هنا أن أحاول معالجة موضوع التجنيد العام فى ذاته، وأن أبين رأى الإسلام فيه

ولابد لنا أن نعرف أولا أن غريزة الكفاح من الغرائز البشرية ذات الأثر الفعال فى حياة الأفراد، وفى نظام الجماعات وتكوينها؛ ولقد كان هـذا الأثر واضحاً فى كل العصور، وفى جميع تطورات الجماعة من البسيطة الهمجية إلى الراقية المتحضرة. فالكفاح الدائم بين الأفراد والجماعات من سنن الطبيعة وقوانينها ما دامت الطبيعة وما عاش الإنسان؛ وهو الوسيلة لبقاء الأصلح، وفناء العاجز الضعيف؛ وهو إذاً سبيل الحياة الدائمة المتواصلة، كما يقول نوفيكوف (Novikov) وبقية أصحاب نظرية الكفاح من علماء الاجتماع

والحرب نوع من أنواع الكفاح القاسية التي نراها لا تزال تتكرر فى مختلف العصور بالرغم من بغض الناس لها، وبالرغم مما تجره وراءها من ويلات. وإن الدعوة إلى السلام الدائم بين جماعات الشعوب أمر محمود، ولكنه لا يغير من الواقع شيئاً، وحلم لذيذ لم نر إلى الآن أن الوقائع التاريخية والحوادث الاجتماعية تساعد على تحقيقه. ففي الحوادث التي وقعت فى السنوات الأخيرة بين الشعوب المنتسبة إلى عصبة الأمم — حصن الدعوة إلى السلام الدائم — وفيما تكرر ويتكرر من اعتداء قويهم على الضعيف منهم ما يبين لنا أن دعاة السلم لم يتعدوا في دعوتهم حدود القول، ولم يأتوا بشيء عملي لتحقيق ما يدعون إليه

فلا غرابة إذن إذا كنا نرى الأمم القوية في كل العصور تنادى بالسلام وهي تستعد للحرب؛ أما الشعوب الضعيفة فانها تتخدر أعصابها بالدعاية إلى السلم، وتصم آذانها عن نداء الواجب صيحة السلام التي يرسلها القوى المدجج بالسلاح معمياً، حتى لا تزال هذه الأمم الضعيفة فى عمى عن الحقائق، فريسة له، عاجزة عن الدفاع عن نفسها أمام هجماته، وميداناً لتحقيق مطامعه. والشعوب الحية العزيزة، التى تشعر بالكرامة، وتأبى الضيم والذلة على استعداد دائم للدفاع عن نفسها، ورد اعتداء المعتدى، فهي تأخذ أفرادها بالمران على الأعمال الحربية، تقوى أجسامهم، وتربى العزة فى نفوسهم، وتحبب إليهم التضحية بالنفس والنفيس في سبيل دفع الاعتداء عن أمتهم، ورد المهانة وسلامة الكرامة، والاحتفاظ بالحرية. فالروح العسكرية، وتربية الشعب تربية عسكرية أمر لابد منه لكل أمة تريد أن تعيش مرفوعة الرأس، عزيزة الجانب بين الأمم؛ أمر لابد منه لإشعار أفراد الشعب بمعنى العزة والكرامة، وحتى يؤمنوا بأن الموت العزيز خير من الحياة الذليلة

هكذا صنعت وتصنع الأمم الحية الكريمة، وهكذا كان شأن الأمة الاسلامية فى مبدئها، وفى العصر الذي كان المسلمون يعملون فيه بتعاليم الإسلام الصحيحة قبل أن تختلط بالمبادىء الدخيلة التي أعطيت صبغة الإسلام وهى ليست منه فى شيء. فكما تأمر مبادىء الإسلام بتعليم النشء وتثقيفه، فهى تأمر أيضاً بأخذه بأنواع الرياضة، وتدريبه على فنون الحرب. وقد جاء في الحديث الشريف [1] «حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتابة والسباحة والرمى» وفى التعليق على حديث «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة، ألا إن القوة الرمى. إلا إن القوة الرمى. ألا إن القوة الرمى» يقول صاحب نيل الأوطار: وكرر ذلك للترغيب فى تعلمه (الرمى) وإعداد آلاته؛ وفيه دليل على مشروعية الاشتغال بتعليم آلات الجهاد، والتمرن فيها، والعناية فى إعدادها، ليتمرن بذلك على الجهاد ويتدرب فيه، ويروض أعضاءه

وليكن لنا فى رسول الله أسوة حسنة، وهو المثل الأعلى

(١) نيل الأوطار طبعة منير الدمشقى ج ٢ ص ٢٤٧ — ٢٤٨

للرجولة الكاملة ، فلقد ساهم عليه السلام بنفسه فى كثير من أنواع الرياضة ، والتمرينات الحربية ، فسابق فى العدو ، ورمي ، وصارع ؛ ولقد شاهد اللعب بالحراب ، واشترك فى سباق الخيل. كان يفعل كل هذا ، ويأمر به ، ويشجع عليه أفراد أمته ، حتى النساء منهم ، فلقد كان يسابق عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها جريا على الأقدام ، فمرة تسبقه ومرة يسبقها . أرأيت كيف أن هذا لا ينافى الوقار والشرف والعلم والفضل وعلو السن ؟ !

هذا هو حكم الاسلام فى الرياضة البدنية ؛ وهذا هو حكم الإسلام فى الخدمة العسكرية ، وتعليم أفراد الأمة فنون الحرب ، وأخذهم بآداب الجندية

ولم تزل الشعوب الاسلامية قوية عزيزة الجانب حتى أخذت روح الجندية تضعف فى نفوس أفرادها ، وأخذ استعدادهم للدفاع عن حماهم يضعف ويقل ؛ فأخذ العدو يهاجمهم بما لا حول لهم به ولا قوة ، حتى وصلت بهم الحال إلى ما هم عليه من الضعف ، وحتى استعبدهم الغير ؛ وما فتئت الدول المستعمرة فى العصور الأخيرة تعمل على قتل روح الجندية ، روح القوة والرجولة فى الأمم الاسلامية المغلوبة على أمرها ، لتطول مدة حكمها لها ، ولتأمن جانبهم فى الدفاع عن أنفسهم . عملت على هذا ، ووضعت لتنفيذه خططاً مدبرة محكمة ؛ كان من أشدها خطراً عندنا فى مصر قانون البدل والإعفاء من الخدمة العسكرية ؛ إذ ظن المغفون خطأ أن فى ذلك ميزة لهم وشرفاً اكتسبوه ؛ وكانت نتيجة هذا الإجراء المدبر أن انحصرت الخدمة العسكرية فى أفراد الطبقة الفقيرة الجاهلة من الشعب ؛ وعومل هؤلاء أثناء تأدية الخدمة من رؤسائهم معاملة إذلال وقهر ، غرست فى نفوسهم البغض لما هم فيه ، وقتلت فيهم الروح المعنوية التى لا بد منها لانتصار الجنود إذا اشتدت الخطوب ، ووقع القتال ؛ هذه الروح المعنوية التى جعلت العشرين من جند النبي وأصحابه يغلبون مائتين ، والمائة يغلبون ألفين

هذه العوامل وغيرها ولدت فى نفوس الشعب عندنا بغض الخدمة العسكرية وتحقيرها ، حينما تفخر الشعوب الحية بها وتعتز ؛ وبهذا فقد شبابنا كثيراً من معانى القوة والرجولة . ومن عجائب الدهر أن تجعل الخدمة العسكرية عقوبة للطالب الأزهرى يعاقب بها إذا رأى ولاة الأمور خروجه على النظام ، وقرروا إنزال العقاب به ؛ فهم حينئذ يمحون اسمه من سجلات الطلبة الأزهريين ويبلغون الجهات المختصة لتحرمه من امتياز الإعفاء من الخدمة ، وتعاقبه فتجعله يؤدي الخدمة العسكرية — كما وقع ذلك فى بعض عصور الأزهر الغابرة —

ألا إن هذا عكس للحقائق ، ووضع للأمور فى غير نصابها ؛ هذه الروح يجب أن تزول ، وأن يحل محلها روح الشعور بأن الجندية شرف لا عقوبة

الواجب على أولى الأمر بعد أن حصلنا على معاهدة الاستقلال ، وأطلقت يدنا من عقالها فى كثير من الشئون أن يصلحوا ما أفسده الدهر من أمر الخدمة العسكرية فى بلادنا . وإذا أردنا أن يسلم لنا شرفنا فلنعمل على تربية روح العزة والكرامة ، ولنتعهد روح الرجولة بما ينميها فى نفوس الأفراد ، فيجب أن تكون الخدمة العسكرية عامة اجبارية على كل من يصلح لها من أبناء الشعب بلا تفريق بين طبقة وطبقة ، وبغير تمييز بين أهل حرفة دون حرفة ، ليشعر أبناء الشعب جميعاً بالأخوة والمساواة ، وليدخلوا جميعاً مدرسة الرجولة

وعلى جميع طبقات الأمة أن ينادوا بهذا ، ويطالبوا ولاة الأمور بتنفيذه ؛ وعلى حملة القرآن الشريف ، والأزهريين منهم خاصة — من أصحاب الامتياز المزعوم — أن يطالبوا أولى الأمر مع المطالبين ، بل فى مقدمتهم بالتجنيد الإجبارى العام ، فانهم أبناء الأمة ، وعليهم أن يشتركوا فى إعداد أنفسهم للدفاع عنها إذا دعا الداعى . ولهم أن يفخروا بشرف الانخراط فى سلك الجندية ؛ فلقد حان الوقت ليخرج الأزهريون من عزلتهم ، وليأخذوا أنفسهم بتعاليم الإسلام الصحيحة ، وينفوا ما زيف عليهم منها

فليس من الإسلام أن حملة القرآن الشريف ، وطلبة الأزهر يعفون من خدمة العسكرية ، فالاسلام دين الرجولة يمقت كل ما يمت إلى التخنث بصلة ؛ وليس من الإسلام هذا الوقار المزعوم الذى يتخيله العامة عندنا فى المشية المتثاقلة المتئدة البعيدة عن النشاط وخفة الحركة ، فلقد كان النبي عليه السلام يسير ملقياً جسمه إلى الأمام مسرع الخطو ثابته ؟!

محمد عبد الله ماضى

دكتور فى التاريخ والاجتماع

وعضو بعثة تخليد ذكرى الشيخ محمد عبده بألمانيا

في تاريخ الأدب العربي

كليـــلة ودمنة

للأستاذ عبد الله محمود اسماعيل

لست أزعم أن أدلة هذا البحث – على قوتها – مما لا يستطاع نقضه أو إضعافه . ولست أزعم أن موضوع البحث مما لم يسبق لبعض الأقلام تناوله . ولكن الذى أستطيع زعمه أن أكثر ما سأعتمد عليه فى تدعيم وجهتى طريف مبتكر لا يشينه سطو ولا تعكره إغارة

وقد يكون مرجع الفضل فى إثارة هذا البحث إلى رسالة صغيرة كتبها عن ابن المقفع الزميل « الأستاذ محمد قايل » ذهب فيها مذهب بعض المستشرقين من القول بأن نسبة كتاب كليلة ودمنة إلى غير عبد الله بن المقفع يعوزها الدليل القوى ، وأن الكتاب فى مجموعه لا يخرج عن حكايات وضعها ابن المقفع أو نقلها عن الآداب الدخيلة [1] . يريد بذلك ألا يجعل للكتاب أصلا فى الفارسية أو الهندية بهذا الاسم ، وهو يؤيد اختياره هذا بما يلمس فى الكتاب من بلاغة عبارة ، وقوة أداء ، وخلو من المسحة الدخيلة ، مما لا يتهيأ لكتاب مترجم حرص فيه على الأمانة ؛ وبأن مؤرخى الهنود وعلماء أوربا يجهلون كتاباً بهذا العنوان والتبويب في الهندية ، كما يجهلون شخصى « بيدبا » و « دبشليم » وكلا الدليلين ساقط ، لأن هذه القوة البلاغية فى الترجمة ، وسبك الألفاظ وفق أرجح أساليب العربية ليس مما يستغرب من ابن المقفع وقد « كان فى نهاية الفصاحة والبلاغة مضطلعاً باللغتين — العربية والفارسية — فصيحاً بهما [2] »

وما لنا نذهب بعيداً وفى المكتبة العربية الآن كتب مترجمة عن الفرنسية والانجليزية والألمانية أتت ، على الرغم من سحر بيانها وشريف أسلوبها ، أمينة على الأصل ، حريصة على روح المؤلف ، وهذه قصة البائسين لحافظ بك . ورفائيل وڤرتر للأستاذ الزيات ، فقد جاءت مع الأصل كالحسناء وخيالها فى المرآة . وتلك حالة لا يجد فيها المترجم كبير عناء متى كان متمكناً من لغة المنقول عنه والمنقول إليه ، خبيراً بآدابهما ، وطرائق الحسن فيهما . كما كان الشأن مع ابن المقفع

على أننى لا أرى هناك ما يحمل على التمسك بالحرفية والأمانة فى ترجمة مثل كتاب كليلة ودمنة ، فليس هو بالكتاب العلمى الخطير ، ولا القصة الفنية التى يذهب التصرف فيها شيئاً من جمالها وروعتها ، وهو فى النهاية لا يعدو أن يكون كتاب تحريف وسمر للخواص وأرباب البيان على الرغم من هذه الطنطنة التى ملأت صدر الكتاب . ولا شك أن ابن المقفع كان يفهم هذا فأباح لنفسه بعض التصرف فى الأصل فرفع بذلك عن قلمه كثيراً من الحرج والتهيب

أما ما يقال عن جهل مؤرخى الهنود وعلماء أوربا بدبشليم وبيدبا ، وبكتاب له هذا الاسم والتبويب فى اللسان الهندى ، فلا يمكن أن يتخذ منه دليل قاطع على وضع ابن المقفع للكتاب ، فان صلاحيته للقول بهذا أضعف من صلاحيته للقول بأن الفرس هم وضعة الكتاب ، فقد نقل هذا الرأى أحد مؤرخى القرن الرابع الهجري ؛ قال محمد بن اسحاق النديم : « فأما كتاب كليلة ودمنة فقد اختلف فى أمره ، فقيل عملته الهند ، وقيل عملته ملوك الأسكانية [1] ونحلته الهند ، وقيل عملته الفرس ونحلته الهند ، وقال قوم إن الذى عمله بزرجمهر الحكيم [2] » الفارسى . على حين لم أعثر فى الكثير الذى قرأته من المراجع القديمة على من يصرح بأن ابن المقفع هو واضع الكتاب

وإن هذا التأييد التاريخى للقول الثانى مع ما ذكروا من أن المراجع الهندية والأوربيـة تجهل وجود كتاب كليلة ودمنة فى السنسكريتية ، كما تجهل وجود ملك يسمى دبشليم ليجعلني أميل إلى الأخذ به وترجيحه على ما سواه . ولن يضعف منه تأريخ المسعودى لدبشليم الملك ضمن من ذكر من ملوك الهند الأقدمين وقوله إنه الواضع لكتاب كليلة ودمنة ، فإن جل ما كتبه عن هذه العصور القديمة لا يخرج عن دائرة الجمع الذي لا يقوم على أساس صحيح من التحقيق والتحرى ، ويكفي لصدك عن التعويل

(١) ابن المقفع لقايل ص ٥٠

(٢) الفهرس لابن النديم ص ١٧٢ ، طبعة المكتبة التجارية

(١) الأسكانية : الطائفة الثانية من ملوك الفرس الأوائل من أفريدون إلى دارا بن دارا . مروج الذهب أول ص ١٢٩ مطبعة عبد الرحمن محمد

(٢) الفهرس ص ٤٢٣

على ما كتب أن تعرف أنه جعل ملك « دستلم » أو « دبشليم » مائة وعشرين سنة [١] ؛ وأن ما ذكره بعد ذلك عنه وعن «فوز» سابقه لا يتجاوز ما ذكر فى مقدمات كليلة ودمنة ؛ الأمر الذى يحملنا على الظن بأن المسعودى ما عرف هذين الاسمين إلا عن طريق هذا الكتاب

وليس ببعيد على الفرس وضع كتاب كليلة ودمنة وإلباسه هذا الثوب الهندى ، فهم جيران الهنود وإخوانهم فى جنسيتهم الآرية ، يشركونهم فى ذكائهم وتعقلهم وخيالهم « وهم أول من صنف الخرافات وجعل لها كتباً وأودعها الخزائن ، وجعل بعض ذلك على ألسنة الحيوان [٢] »

ولا محل للاعتراض هنا بأن الكتاب لو كان من عمل الفرس لتضمن شيئاً من المجوسية والمذاهب الفارسية الأخرى ؛ لأنه لم يوضع لتدوين عقيدة أو إذاعة مذهب دينى خاص ؛ وهذا كتاب « مزدك » الذى نقله عن الفارسية ابن المقفع وأبان بن عبد الحميد ، « فإن أول ما يتبادر إلى الذهن أن الكتاب يبحث عن مذهب مزدك ، ولكن الأستاذ «براون» ذكر فى كتابه « تاريخ آداب الفرس » نقلا عن « نولدكى » : أنه كتاب أدب وضع للتسلية ، ويعد فى مصاف كتاب كليلة ودمنة ولا تضر قراءته مسلما [٣] »

على أننا لو سلمنا باحتواء الأصل على شىء من هذه المذاهب الفارسية ، فإننا نرجع نقاء الترجمة العربية منها إلى ما ذكرنا من تصرف ابن المقفع ، ولعل الذى حمله على هذه التصفية عقيدته الاسلامية الجديدة أو خوفه من تشكك المنصور فيه إن سمحنا لأنفسنا بالطعن فى صدق إسلامه

وإن مما يكاد يحملنا على الجزم بأن ابن المقفع ناقل لكليلة ودمنة لا واضع له ما ذكره صاحب الفهرس من أن جماعة من النقلة عن اللسان الفارسى — وفيهم من عاصر ابن المقفع أو قارب وقته — قاموا بترجمة هذا الكتاب إلى اللغة العربية . قال العلامة جورجى زيدان : « يظهر أن بعض الأدباء حسد ابن المقفع على شهرة الكتاب فأعادوا نقله ، واشتغل بعضهم بنظمه ، وتصدى آخرون لمعارضته [٤] » . ولا غير هذا يفسر لنا سر الاختلاف الذى ذكره

(١) مروج الذهب أول ص ٤٨

(٢) الفهرس ص ٤٢٢

(٣) ابن المقفع لخليل مردم بك ص ٦١

(٤) تاريخ آداب اللغة العربية ج ٢ ص ١٣١

ابن النديم فى عدد أبواب الكتاب ، فقد قال : « هو سبعة عشر باباً ، وقيل ثمانية عشر ، ورأيت أنا فى نسخة زيادة بابين [١] »

وكان أقدم من نقل الكتاب إلى العربية نظماً أبو سهل الفضل بن نوبخت الفارسى من خدم المنصور ومن العاملين فى خزانة الحكمة لهارون الرشيد « وقد كان معوله فى علمه على كتب الفرس [٢] » ثم عبد الله بن هلال الأهوازى ، نقله ليحيى بن خالد البرمكى فى خلافة المهدى سنة ١٦٥ هجرية ، ثم أبان بن عبد الحميد اللاحقى ، قال محمد بن اسحق « وقد نقل من كتب الفرس وغيرها ما أنا ذاكره : كتاب كليلة ودمنة ، كتاب السندباد ، كتاب مزدك [٣] ... » وقد كان أبان هذا « صديقاً للبرامكة ، متصلا بهم أشد اتصال ... وكان أديبهم الرسمى » ومن المختصين بالرشيد . ويظهر أن نقله الشعرى — على جدته — كان على جانب من الجودة فقد «أعطاه يحيى بن خالد عشرة آلاف دينار وأعطاه الفضل خمسة آلاف دينار ، ولم يعطه جعفر شيئاً وقال : ألا يكفيك أن أحفظه فأكون راويتك [٤] ؟ ! »

ولو قدرت الحياة لهذه التراجم الأخرى أو لبعضها لقطعت الشك باليقين ، ولوضعت بين أيدينا الدليل المادي على أن موقف ابن المقفع من الكتاب لم يكن إلا موقف المترجم البليغ والمهذب البصير ؛ أما وقد نالها من عوادى الزمان وتقلب الأحداث ما أودعها عالم الفناء فليس لنا إلا الاعتماد على دراسة ما بقى مما كتبه عنها الثقات من رجال الأدب والتاريخ ، وما اقتبسته كتبهم عن بعض هذه التراجم ، وفى هذا وذاك كثير من الغناء والعزاء

ولئن ذكرنا بالفضل صاحب الفهرس لما أفادنا فى هذا المقام فلا يسعنا إلا أن نذكر بمزيد الاعجاب فضل ابراهيم الصولى ، فقد نقل لنا فى كتابه الأوراق [٥] ستة وسبعين بيتاً من ترجمة أبان النظمية ، ولولاه ما بقى لنا منها إلا الأبيات الأربعة التى ذكرها أبو الفرج [٦] وهى لا تغنى فى البحث شيئاً

(١) الفهرس ص ٤٢٤

(٢) الفهرس ص ٣٨٢

(٣) الفهرس ص ٢٣٢

(٤) بتصرف عن عصر المأمون أول ص ٢٤٩ وثان ص ٣١٧

(٥) طبع منه قسمان يبدأ أولهما بترجمة أبان وتجد بها الأبيات المذكورة . ومخطوطه بدار الكتب تحت رقم ٥٩٤ تاريخ

(٦) الأغانى ج ٢٠ ص ٧٣

وفى هذه الطائفة التى ذكرها الصولى من المنظومة دليل آخر على أن أبان استقى من مصدر فارسى ، وأنه لم يعتمد على نسخة ابن المقفع ، إذ لم يقع له من عباراتها إلا ما جاء وليد المصادفة أو الاستعانة وهو نادر ، كما يلاحظ على منظومته قلة تداخل حكاياتها والاقتصاد فى سوق الحكم ، وربما ذكر الشىء فى غير الباب الذي وضعه فيه ابن المقفع

ابتدأ أبان نظمه بالبيت المعروف : —

هـذا كتاب كذب ومحنة وهو الذى يدعى كليـله دمنة

ثم ذكر فى الأبيات الأربعة التى تليه أن الكتاب من عمل الهند ، وصفوا فيه الآداب على ألسنة البهائم ، ليشتهى السخفاء هزله ، وليعرف الحكماء فضله : —

وهو على ذاك يسير الحفظ لذ على اللسان عنـد اللفظ

ثم أتى الصولى بعد ذلك باثنين وعشرين بيتاً يبدو أنها ليست من هذا التمهيد الذى وضعه أبان ؛ وإنما هى من باب برزويه تبدأ عند مناجاة هذا الحكيم نفسه بقوله : « يانفس [1] أما تعرفين نفعك من ضرك ؟ ! ألا تنتهين عن تمنى ما لا يناله أحد إلا قل انتفاعه ... » وفيها يحدث نفسه بأن الدنيا بما لنا فيها من أحباء وأصدقاء كثيرة الآلام ، وأنه لا ينبغى للانسان أن يعرض نفسه للهلاك فى سبيل جمع ما يرضى به أهله ومحبيه ؛ وأن فى النسك وترك الدنيا لمن يشقى بها النجاة من الشرور . وختم أبان الأبيات بالاقرار بالوحدانية وأنه مرتهن بعمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر ؛ ثم اقتبس الصولي من باب الأسد والثور تسعة وأربعين بيتاً فى مواطن مختلفة من الباب ذكر فيها طرفاً من الحديث الذى دار بين كليلة ودمنة حول التقرب من الملك ثم كيد دمنة للثور عند الأسد ؛ ثم تحدث عن المال وما فيه من عز وجمال ، وامتدح العقل ومشورة غير أهل التهمة

ولكى يتضح بعد المنظومة عن ترجمة ابن المقفع نلفت النظر إلى أن حديث المال الذى ذكره أبان فى باب الأسد والثور جعله عبد الله فى باب الحمامة المطوقة . وإليك الأبيات التى ذكرها فى هذا الموضوع لتتحقق بعد الموازنة من صدق ما ارتأينا من المباينة بين الترجمتين : —

الأهل والإخوان والأعوان عند ذوى الأموال حيث كانوا
والمال هادى الرأى والمروّه وهو على كل الأمور قوه
والمال فيه العز والجمال والذل حيث لا يكون المال
وربما دعا الفقير فقره إلى التى يُحبط فيها أجره
فيخسر الدين كما كان خسر دنياه والخسران ما لا ينجبر
وليس من شىء يكون مدحا لذى الغنى إلا يكون ترحا
على الفقير ويكون ذما كذاك يدعى وبه يسمى
فإن يكن نجداً يقولوا أهوج كذاك عند الحرب لا يعرج
وهو إذا كان جواداً سيداً سُمى للفقر مُضيعاً مفسدا
أو يك ذا حلم يُقل ضعيف أو يك بساماً يُقل سخيف

* * *

وقد يظن كثير من الأدباء أن ابن المقفع عرف كيف يخلد اسمه باختياره ترجمة كتاب كليلة ودمنة أو ادعائه ذلك ؛ ولكن الذي لا يتطرق إليه الاحتمال عندى أن كتاب كليلة ودمنة إنما كتب له الخلود ، وبقى على توالى الأحداث والأيام لأن عبد الله ابن المقفع تصدى لترجمته فألبسه هذا الثوب الرائق من بلاغته وتهذيبه ومعرفته . ولقد يدهش أصحاب ذلك الظن إذا قلنا لهم إن الكتاب لم يكن له فى الفارسية من الخطر ما صار له بعد نقله إلى العربية على يد ابن المقفع ، ولكن دهشهم سيتبدد متى عرفوا أن الفرس أنفسهم حينما رأوا الكتاب فى صورته الجديدة المنسجمة استولى عليهم الإعجاب ، وأخذوا ببلاغته فنقلوه إلى الفارسية مرة أخرى ، وأهملوا أصوله التى بين أيديهم فأذهبها النسيان ؛ حتى لقد ذكر ابن النديم أنهم نقلوه « إلى اللغة الفارسية بالعربية [1] » ليتمكن من يتكلم الفارسية ولا يكتبها من قراءته بالحروف العربية التى سرى استعمالها بينهم

وإنى لأسائل نفسى الآن عن المصير الذى كان ينتهى إليه كليلة ودمنة لو لم يكن عبد الله بن المقفع ضمن من ترجموه !! إنه ولا شك مصير مظلم ؛ أو قل هو المصير الذى انتهت إليه التراجم والنقول الأخرى

(أسيوط)

عبد الله محمود اسماعيل

(١) كليلة ودمنة ، ترجمة ابن المقفع ص ٧٦ طبعة وزارة المعارف الخامسة عشرة

(١) الفهرس ص ٤٢٤

محمد بن جعفر الكتانى

بمناسبة مرور عشر سنوات على وفاته

للأستاذ محمد المنتصر الكتانى

تتمة ما نشر فى العدد الماضى

وكان أسلافه يعرفون قديماً بعدة ألقاب : بالكتانيين وأمراء الناس والزواويين وشرفاء عقبة ابن صوال، وحديثاً بالكتانيين فقط

فأما شهرتهم باللقبين الأولين : فنسبة إلى جدهم الأول أمير الناس الكتانى يحيى بن عمران الذى يعده المؤرخون أول ملك مغربى استعمل فى معسكراته خيام الكتان فنسبوه إليها ، وما كانت تعرف قبله غير خيام الصوف والشعر ، وأول ملك بويع باسم أمير الناس ، فلزم بنيه لقبه الأول إلى اليوم ، وورثوا عنه الثانى ردحاً من الزمن

ذكر هذا القاضى بن الحاج فى كتابيه نظم الدر والأشراف ، والشريف المدغرى فى الدرة ، وأبو زيد السيوطى المكناسى ووالده أبو بكر في كتابيهما في الأنساب

وأما شهرتهم باللقب الثالث : فنسبة إلى زواوة وهى قبائل بربرية كبيرة مواطنها فى الجزائر « بنواحى بجاية ما بين مواطن كتامة وصنهاجة ، أوطنوا عنها جبالاً شاهقة متوعرة ، تنذعر منها الأبصار ، ويضل فى غمرها السالك [1] » فر إليها الكتانى يحيى حين تغلب السفاح بن أبى العافية على ملك أسلافه فنصبوه ملكا عليهم وتدبرها بنوه من بعده قرنين كاملين وثلاثين سنة تزيد قليلاً أو تنقص قليلا

ذكرهم بهذا اللقب ابن عمرو العبدى فى كتابه الكوكب السانى فى النسب الكتانى

وأما شهرتهم باللقب الرابع فنسبة إلى حى معروف من أحياء فاس يعرف بعقبة بن صوال ، كان نزولهم به أول ما رجعوا من مكناس فى آخر القرن التاسع

عرفهم به القاضى بن الحاج فى الأشراف وعلى هذا اللقب

(١) العبر ج ٦ ص ١٢٨

وضع فيهم كتابه الشهير « نظم الدر واللآل فى شرفاء آل عقبة ابن صوال » وبه ذكرهم أيضاً الشريف القادرى في الدر السنى

ولا يعرف اليوم أحدهم بلقب من تلك الألقاب الثلاثة — أمراء الناس ، الزواويين ، شرفاء عقبة بن صوال — التى أصبحت تاريخية وفى بطون الكتب ليس غير ، ولا أدري إذا كانت بعض الأسر بالجزائر أو غيرها من الأقطار التى أقاموا بها لا تزال تحمل أحد هذه الألقاب

واللقب الأول والأخير هو (الكتانى) فقط الذي بقى علماً لآبائه من القرن الرابع إلى الآن

ولعل من العبث أن أعيد القول فأذكر أنه تقدم فى السلافة أئمة أعلام شاركوا فى توريث التراث المحمدى ، فهدوا وعلموا وهذبوا وألفوا ، وفى الخزائن العامة والخاصة الدليل الناطق ، وقد بلغ ما عده بعضهم من مؤلفاتهم فيها المئين [1] وكتب المؤرخين طافحة بتراجمهم

ومن منهم لا يعرف (على بن موسى [2]) و (عبد الواحد بن عمر [3]) وولده (أحمد [4]) و (محمد بن أحمد بن على [5]) و (محمد بن عبد الوهاب [6]) و(المأمون بن عمر [7]) و(إدريس بن

(١) انظر معجم تأليف رجال المغرب الأقصى لصديقنا الأستاذ عبد السلام ابن سودة

(٢) على — من كبار علماء القرن الثامن توفى بمكناس ترجمه أبو زيد السيوطى المكناسى فى عقد اللآلى والعلامة المؤرخ النقيب ابن زيدان فى تاريخ مكناس ج ٥ ص ٤٥١

(٣) عبد الواحد — تخرج على الشيخ الامام التاودى ابن سودة ومن مشايخه العلامة جوس كان مع اشتغاله بالعلم يتجر ويمارس الفلاحة ولاه المرحوم سيد قومه السلطان محمد بن عبد الله نظارة أوقاف الضعفاء « بسيدى فرج » بالاشتراك مع بعض الأشراف فحمدت ولايته . هذا ومن بعده كلهم توفوا بفاس (٠٠ — ١٢٠٣) الرياض الريانية — النبذة — السلوة ج ٢ ص ٢٥٣

(٤) ابن عبد الواحد — أخذ عن الشيخ التاودى ابن سودة ولازمه ، يعد من مؤرخى العائلة فقد اعتنى بتاريخها اعتناء كبيراً وله فى ذلك « كتابات وتقاييد » (٠٠ — ١٢٤٤) المصدر نفسه والسلوة ج ٢ ص ٢٥٣

(٥) ابن أحمد — من رجال القرن الثانى عشر ، عالم فقيه مؤرخ ثقة ، من أساتذته شيخ الشيوخ عبد القادر الفاسى وولداه وهو صاحب الكتابين المعروفين « نصرة العترة الطاهرة من أبناء على وفاطمة » و « التنبيه من الغلط والتلبيس فى بيان أولاد الامام محمد بن إدريس » لا أعرف مدفنه ولا سنة وفاته — نظم الدر — النبذة

(٦) ابن عبد الوهاب — من أعيان القرن الثانى عشر ، عالم فقيه مدرس ترجمه ابن يخلف الأندلسى فى سلوة المحبين والامام فى النبذة

(٧) المأمون — عالم فقيه مؤرخ أديب شاعر ، درس بجامع القرويين زمناً وهو صاحب الكتابين « هداية الضال من القيل والقال » و « الغمام الصيب ،

الطائع[1]) و َمن ْمن المغاربة يجهل (جعفر بن إدريس[2]) وأولاده الأربعة صاحب الترجمة ؛ و (أحمد[3]) و (عبــد الرحمن[4]) و (عبد العزيز[5]) و (عبد الـكبير بن محمد[6]) وولده (الشهيد

في مناقب مولاى الطيب » انقطع عن الناس وتزهد (٠٠ — ١٣١٠) الدرر البهية جـ ٢ ص ١٢٢ — النبذة — المرشــد — مقدمة التراتيب الادارية ص ٢٤

(١) إدريس — هو جد صاحب الترجمة من مشايخه الأئمة الشريف عبد السلام الأزمى ومحمد بن عبد الرحمن الحجرتى والشريف محمد الحراق التطوانى قاتل السيانيا بضاحية تطوان فى جيش المرحوم السلطان محمد بن عبد الرحمن العلوى وأبلى بلاء حسناً إلى أن أسره العدو ، ثم فك أسره بعد وكان ذلك فى وقت لم يعهد فيه اشتراك الذوات وأبناء العائلات كأجناد فى الجيوش (٠٠ — ١٢٨١) نظم الدر . الرياض الربانية . النبذة . السلوة جـ ٢ ص ١٩٤ . الدرر البهية جـ ٢ ص ١١٩ . طبقات المالـكين للقاضي ابن مخلوف . جـ ١ ص ٤٠٢

(٢) جعفر — يلقب بالصادق علم كبير وإمام شهير أجمع من ترجمه على أنه من أكبر علماء المغرب — ولا أعد مبالغاً إذا قلت إن « من » هنا مقحمة — فى كل الفنون المعروفة في عصره وكان مرجوعاً إليه فى اتقانها وضبطها وحل مشكلاتها ، يعتمده الملوك فى فصل القضايا المزمنة ، ويجد فيه جميع القضاة عند المعضلات أتى هاد وأعلم دليل ، كانوا يشبهونه بمالك بن أنس فى النظريات ويعدونه وارث مالك بن دينار فى « السنن المحمدية » له من المؤلفات فى مختلف الفنون مايقارب المائة ، طبع منها كثير ولما مات صلى عليه أهل مكة فى الحرم صلاة الغائب ولم يكن بها أحد من أهله (١٢٦٥ تقريباً — ١٣٢٣) . النبــذة . الدرر البهية ج ٢ ص ١٢٠ فهرس الفهارس ج ١ ص ١٣١ . طبقات المالـكية للقاضي بن مخلوف جـ ١ ص ٤٣٣ . معجم شيوخ القاضي عبد الحفيظ الفاسي جـ ١ ص ١٧٣ . الفكر السامي في تاريخ الفقه الاسلامى لمندوب المعارف محمد الحجوي جـ ٤ ص ١٤١

(٣) أحمد — أحد الأئمة المشار إليهم علماً وديناً وزهداً وورعاً من أظهر صفاته الصــلابة فى الحق والجهر به على أى حال ، والحب فى الله والبغض فى الله كانوا يشبهونه برجال السلف الصالح مؤلفاته تبلغ الثمانين في الحديث والفقه والتصوف والـكلام والذات النبوية وغير ذلك (١٢٩١ — ١٣٤٠) النبذة . الشكل البديع

(٤) عبد الرحمن — إمام محدث وعلامة متفنن ، وكان هذا شاعراً فحلاً جمع إلى سمو المعنى عذوبة فى اللفظ ورصانة فى التعبير ، وكاتباً مترسلاً من الطبقة الأولى جودة وبلاغة وكان على جلال علمه ووقاره ذا روح شاعرة محبوبة ، اللطف والظرف بعض صفاتها له مؤلفات كثيرة طبع بعضها ، وشعر كثير لم يجمع بعد ورسائل أدبية تخرج فى مجلد (١٢٩٧ — ١٣٣٤) المصدر نفسه ، وفى العزم نشر بعض شعره فى رسالتهم «رسالة العرب ؟!»

(٥) عبد العزيز — قال عنه أخوه فى النبذة : تفقه ونجب وللافادة جلس وانتصب . وكان فقيهاً عالماً نبيهاً ذا حياء وحشمة ووقار وصمت وسمت ونظار وأدب وهمة علية ونفس عزيزة أبية . له عدة مؤلفات (١٢٩٤ — ١٣٢٥)

(٦) عبد الـكبير بن محمد — عالم صوفى مسند اتفق من ترجمه على أنه من خيرة أهل عصره صلاحاً وزهداً وعبادة وحسن أخلاق ما اغتاب أحداً قط ولم يغتب — غالباً — فى مجلسه أحداً حتى ألد أعدائه (؟ !) له بضع مؤلفات (١٢٦٨ — ١٣٣٣) النبذة . فهرس الفهارس جـ ٢ ص ١٣٩ معجم شيوخ القاضى الفاسى جـ ٣ ص ٧٤

محمد[1]) و (عبد الـكبير بن هاشم[2]) و (الطاهر بن حسن[3]) و (عبد الحفيظ بن محمد[4]) رحمة الله عليهم أجمعين

اشتهر بلقب « الـكتانى » قديماً خلق كثير فى الأندلس والمغارب الثلاثة وبغداد ودمشق لايمت واحد منهم لأسلاف الامام بصلة ، فيهم الوالى الأمير والمحدث والفقيه والطبيب والأديب وو ... وقد وقفت على تراجمهم عند عياض فى المدارك والخطيب فى تاريخ بغداد والسمعانى فى أنسابه وابن الجزرى فى طبقات القراء والذهبى فى التذكرة وتاريخ الدول والميزان والضوء اللامع والحافظ فى اللسان والدرر الـكامنة وابن عثمان النابلسى فى مختصر طبقات الحنابلة وابن القاضى فى الجذوة والقادرى فى النشر وابن جعفر (المترجم) فى السلوة

وقد عنى بتاريخ أسلافه جمهرة من المؤرخين قديماً وحديثاً وأولهم — فيما أعلم — أبو عبيد البكري صاحب المسالك الذى

(١) الشهيد — الامام المعذب فى الله ؟ العلامة الـكبير شيخ التصوف وترجمانه مؤسس الطريقه الـكتانية وبانى زواياها فى مدن المغرب وبواديه ومعتنقوا طريقتــه يقدسـونه ويعتقدونه اعتقاداً عظيما وعــددهم يتجاوز المليون ، كان مفرط الجمال جداً ولو أن صواحب يوسف رأينه لقطعن النياط بدل الأيدى ، كان كما وصفوا نصر بن حجاج — طريد عمر لجماله — إذا بدا لا تبق محجبة ولا مخدرة ولا راهبــة ! إلا اشرأبت بعنقها من الشرفات والمنازل لتراه ومن أجل ذلك كان لا يظهر للملأ إلا ملثماً ، قتله السلطان عبد الحفيظ ظلماً بعد ما أذاقه من العذاب ألواناً حتى استشهد وهو تحت السياط بتهمة الانتقاض عليه وطلب الملك لنفسه والقصة طويلة معقدة ؟ ومن يرد استعراض هولها فليستحضر مصيبة كربلاء فهى هى لا تخالفها إلا فى التاريخ ، له مؤلفات كثيرة طبع بعضها (١٢٩٠ — ١٣٢٧) النبذة . معجم شيوخ القاضى الفاسي ج ١ ص ٤٤ وقد اطلعت على كتاب فى مجلد ضخم خاص بحياة هذا الشهيد لشيخنا العلامة محمد بن أحمد ابن الحاج

(٢) ابن هاشم — العلامة الموثق الماهر الحيسوبى إمام نــابى مدينة فاس قال عنه فى النبذة : هو الآن زعيم الشعبة الـكتانية وإليه يرجع فى معرفة أصولها وفروعها . عمر طويلاً له بضع مؤلفات أشهرها « الشكل البديع فى النسب الرفيع » فى مجلدين أرخ فيه لعائلات الأشراف بفاس و « زهر الآس فى بيوتات فاس » فى أربع مجلدات تكلم فيه على أولية جميع البيوتات الفاسية ما عدا الأشراف ، وكلاهما يدل على سعة اطلاعه وإتقانه فى هــذا الباب (٠٠ — ١٣٥٠)

(٣) الطاهر — قال عنه فى النبذة : هو الفقيه العلامة المرتدى برداء الحياء والفضل والـكرامة من أهل العلم والتقوى والديانة والمروءة والعفاف والصيانة . ألف في كثير من الفنون ، وتصانيفه تربو على الستين لم يطبع منها غير كتاب واحد فى اقتران كلمتى الشهادة (٠٠ — ١٣٤٧)

(٤) عبد الحفيظ — عالم شاعر أديب بينه وبين العلامة الوزير عبد الله الفاسي مساجلات معروفة ، تخرج فى الأدب على العلامة الأديب الـكبير أحمد ابن المواز (٠٠ — ١٣٤٥)

يعد كالمعاصر للملك الكتاني يحيى بن عمران إذ أبو عبيد مات[1] فى آخر القرن الخامس والكتاني مات فى آخر القرن الرابع

وهأنذا مورد طائفة من الكتب التى فيها تاريخ أسلافه بعضها خاص بهم والبعض الآخر مذكورون فيها ضمن باقى الأسر المغربية عرفت من القسم الثانى « المسالك والممالك » لأبي عبيد و « تاريخ الأدارسة » للبرنسى و « أنيس الأنيس » لا أعرف مؤلفه « وكتاباً » للأزوارقانى و « مختصر البيان فى نسب آل عدنان » للشيخ الامام المقرىء أبي العباس احمد بن محمد بن عبد الله بن جزى الكلبي و « معدن الأنوار فى التعريف بأولاد النبي المختار » للشيخ الامام أبي العباس احمد بن محمد بن عبد الله المقرى التلمساني و « ابتهاج القلوب بخبر أبي المحاسن وشيخه المجذوب » للشيخ الامام عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسى وهما نسختان : قديمة وقعله فيها خلط كثيراجمع على نقدها وتزييفها نطقاً وكتابة كل من وقف عليها من المؤرخين والنسابين — وفيهم أخوه شيخ الجماعة محمد وجماعة من آل بيته — وجديدة نقحها واستدرك فيها على نفسه ، وبتجديد المؤلف لهذا الكتاب بنفس العنوان الأول معناه عنده التنبيه على عدم اعتماد النسخة القديمة خصوصاً وقد زاد فى الجديدة أشياء لم تكن فى الأولى وحذف منها ما تعثر فيه قلمه من الاخطاء ، وكلا النسختين فى متناول اليد ... و « درة التيجان ولقطة اللؤلؤ والمرجان فى الإعلام بغرر الأنساب وذكر بعض الأشراف ذوى الأحساب » للامام الكبير محمد بن محمد بن محمد الدلاني البكرى و « شرحها » للعلامة المشارك محمد بن احمد بن محمد بن عبد القادر الفاسى و « الدر السني فى بعض من بفاس من أهل النسب الحسنى » للعلامة الكبير الشريف عبد السلام بن الطيب القادرى و «التنبيه من الغلط والتلبيس فى بيان أولاد الامام محمد بن ادريس » للفقيه العالم المؤرخ الشريف محمد بن احمد بن على الكتانى ، وكتاباً فى « الأنساب » للشيخ الامام أبي بكر بن محمد السيوطى الكناسى ، وكتاباً آخر فى « الأنساب » أيضاً لولده الامام النسابة أبى زيد السيوطى و « عقد اللآلى المستضيئة النورانية لنفي ظلام التلبيس فى سلالة مولانا إدريس بن إدريس » له أيضاً ، وكتاباً فيه الجواب على أسئلة تتعلق بالسبطين » للشاعر الكاتب احمد بن عبد القادر القادرى و « الروضة المقصودة والحلل الممدودة فى مآثر بنى سودة » و « السر الظاهر فيمن أحرز بفاس الشرف الباهر من أعقاب الشيخ عبد القادر » كلاهما للأديب الكبير العلامة الشريف سليمان بن محمد الحوات و « سلوك الطريق الوارية فى الشيخ والمريد والزاوية » للصوفى الواعظ الكبير الشريف محمد بن على المنالى الزبادى و « تحفة الحادى المطرب فى رفع نسب شرفاء المغرب » للمؤرخ الأديب الشهير أبي القاسم بن احمد بن على بن ابراهيم الزياني و « الدرة[1] الفائقة فى أبناء على وفاطمة » للعلامة الشريف الزكي بن محمد المدغرى و « الإشراف على بعض من بفاس من مشاهير الأشراف » للعلامة المؤرخ القاضى محمد الطالب بن حمدون بن الحاج و « الدرر البهية والجواهر النبوية » للعلامة النسابة الشريف ادريس بن أحمد الفضيلي

وأما الكتب الموضوعة فيهم خاصة فعرفت منها « الكوكب السانى فى النسب الكتاني » للفقيه العالم المدرس مبارك بن عمر العبدي الأسفى و « نظم الدر واللآل في شرفاء عقبة ابن ضوال » للقاضى ابن الحاج صاحب كتاب الاشراف المتقدم ذكره ، وشرفاء عقبة هو اللقب الذى كان يعرف به أسلاف الامام في القرن العاشر كما ذكرت قريباً و « الروضة المنيفة فى النسبة الكتانية الشريفة » لقاضى حدكورت الحالي العلامة المؤرخ عبدالحفيظ الفاسى و « الرياض الريانية فى الشعبة الكتانية » لوالد المترجم شيخ الاسلام الشريف جعفر الصادق و « النبذة اليسيرة النافعة التى هي لاستار جملة من أحوال الشعبة الكتانية رافعة » للامام المترجم و « الجوهر النفيس فى النسب الكتانى » لأخى المترجم العلامة الكبير الشريف عبد الرحمن و « منتهى الأمانى فى التعريف بالنسب الكتانى » و « الجوهر المكنون فى ذكر فرع[2] الحلبي المصون » كلاهما للعلامة الشريف طاهر بن حسن الكتانى و « المظاهر السامية فى النسبة الشريفة الكتانية » لصاحب التراتيب الادارية[3]

---

(١) فى الصلة لابن بشكوال أنه توفى سنة ٤٨٧ ونقله ابن أبى أصيبعة والصفدى والسيوطى وغيرهم . وفى بغية الملتمس أنه توفى سنة ٤٩٦ قال الأستاذ عبد العزيز الميمنى فى مقدمة شرح أبى عبيد على أمالى القالى ولا غرو أن الضبي أو ناسخ كتابه قد وهم

(١) قد نسب هذا الكتاب لغير هذا المؤلف راجع مصادر السلوة

(٢) مرجع عائلة الامام اليوم إلى فرعين : الطيبيين والحلبيين — والمترجم من الفرع الثانى — وهذا الكتاب خاص بهذا الفرع

(٣) هو العلامة الشريف عبد الحى الكتانى

هذا مجمل تاريخ أسلافه فى المغربين — الأقصى والأوسط — وبهذا فقط اعتنى مؤرخو المغرب وكنت أحسب كغيرى أن سلفه لم يرحلوا إلى الشرق قديماً وبالحري أن يكون لهم فيه ذكر أو تاريخ حتى كشف « الغيب » عن خطئى وتقصير جميع مؤرخينا إذ ثبت أن لهم بالشرق الأقصى — جاوى — تاريخاً خالداً ومجداً لا يبيد

لما رجع الأستاذ الهاشمي التونسى من رحلته الطويلة لبلاد جاوى مر فى طريقه على مصر فاستقبله الصحافي السيد محيى الدين رضا مندوباً عن جريدة المقطم ليسأله عن حالة جاوى العامة ، فأجابه الرحالة التونسى بحديث مسهب نشرته المقطم فى عدديها الصادرين فى ١٣ و ١٤ سبتمبر سنة ١٩٢٩ ونقلته عنها مجلة الدهناء الجاوية التى تصدر بمدينة سورابايا فى عدديها (١٩ و ٢٠) من السنة نفسها الموافق لربيع الثانى سنة ١٣٤٨ . أقتطف من هذا الحديث ما يتعلق ببحثي ، قال الأستاذ الهاشمي :

« ... دينهم — الجاويين — الاسلام اعتنقوه فى أواخر المائة الثامنة من الهجرة وأوائل القرن التاسع على يد طائفة من رجالات المغاربة من أسرة الكتانى الموجودة إلى اليوم فى مراكش حسبما هو مكتوب ومنقوش على المشاهد وألواح المرمر التي فوق قبور أولئك الدعاة والتى لا تزال ماثلة واضحة القراءة بخطوط بديعة ، وهذه القبور تعرف حتى الآن بين عامة الجاويين بقبور المغاربة فى مدينة « نبتام » فى أقصى الجزيرة الغربى ومدينة « سورابايا » فى أقصى الجزيرة الشرقي ومدن « الطوبان » و « شربون » و « سومدانج » و « دماك » فى قلب الجزيرة الجاوية ومن يراجع تاريخ سديو الفرنسى ير فى الفصل المعقود لتقدم العرب فى الملاحة كيف أن عرب الأندلس والمغرب أول من اجتاز جزائر الخالدات إلى خليج غينيا ورأس الرجاء الصالح متوجهين رأساً إلى أقصى الشرق من طريق أقصى الغرب

وحين كنت بالأزهر الشريف سنة ١٣٥٣ سألت عن هؤلاء المغاربة الدعاة الطلبة الجاويين — وهم كثير بالأزهر — فأجابونى بما معناه : من الطفل الرضيع إلى الشيخ الفانى فى جاوى كلهم يعرفون أن الكتانيين المغاربة هم من هدى الله للاسلام على يدهم خمسين مليوناً من القطر الجاوى ، وهذه أضرحتهم الفخمة فى مختلف مدن بلادنا لا تزال ناطقة بذلك ما دامت جاوى جزءا من أجزاء المعمور »

ولما كنت لا أعتبر تاريخ دخول الاسلام لجاوى رابطة عائلية فحسب بل أعتبره صلة متينة بين جاوى والمغرب

ولما كنت لا أعرف سوى ما قصه عليه الأستاذ الهاشمى وأيده لى الطلبة الجاويون بالأزهر

ولما كنت فى شك مما نشر فى المقطم حيث تتبعت كل ما كتبه زعيمنا الاسلامى العلامة شكيب أرسلان فى تعاليقه على حاضر العالم الاسلامى فلم يذكر كون الدعاة الناشرين للاسلام بجاوى هم من آل الكتانى ، على أنه صرح بأنهم مغاربة ، وتركني أشك فى هذا ما أعتقده فيه من الاطلاع الواسع الذى « أعدم نظيره » فى هذا العصر على الدقيق والجليل من أحوال الأقطار الاسلامية النائية ويكفي للتدليل على ما أقول تعاليقه الريانة فوائد وعلوماً على « حاضر العالم الاسلامى » فضلا عن عشرات المؤلفات التى يتحف بها العالم الاسلامى بين حين وآخر وكلها مشهورة بل محفوظة عن « ظهر قلب » فأنا أرجو من سمو الأمير وحضرة الرحالة التونسى وسماحة العلامة الكبير مؤرخ جاوى الحبيب محمد ابن عبد الرحمن ابن شهاب العلوى الحضرمى ومن كل من له خبرة واطلاع على الموضوع أن يفيدونا — مشكورين مأجورين — عن وقت دخول هؤلاء المغاربة الكتانيين إلى جاوى ، وعن أسمائهم وتراجمهم وما سبب رحلتهم هذه الطويلة — من أقصى الغرب إلى أقصى الشرق — وهل تركوا عقباً بها ، وبماذا يعرف اليوم مع ذكر المصادر بأى لغة كانت المطبوع منها والمخطوط

محمد المنتصر الكتانى

شد الرحال إلى الجبال

للأستاذ عز الدين التنوخي

وأخيراً عاد الأمير شكيب أرسلان من جُـنبرة[1] إلى لبنان ! وبعد أن قرت عين المسافر بالاياب ، وألقى عصاه بين أهله والأحباب ، حركني وصديقي الشيخ محمد بهجة البيطار شوق مبرح إلى زيارة أمير البيان في رحابه ، فشددنا الرحال إلى الجبال ، أو بالحرى أدرنا العجلات نحو الهضبات ؛ وأحب أن يرافقنا في السيارة لهذه الزيارة : الشيخ بهجة الأثرى البغدادىّ والشيخ ياسين الدّواف النجدىّ والشيخ على الطنطاوى الدمشقىّ الذى لا يجهله قرّاء الرسالة . وما زالت سيارتنا بسم الله مجراها ومرساها تصعد فى الجبال تارة وتصوّب فى بطون الأودية أخرى حتى بلغنا العشية عين صوفر عرين الأمير ، فعلمنا أنه فى كورة الشوف يردّ الزيارة لوفود القرى التى استقبلته يوم رجوعه إلى ربوعه ، وكان علينا أن نكتب إليه بزيارتنا من دمشق ، فذلك الاهمال أو النسيان ، قد دهانا بهذا الاخفاق أو الحرمان ، ولم يخفف شيئاً من حسرتنا إلا علمنا بأن أمير البيان سيهبط النوطة بعد أيام قليلة ، ولذا عوّلنا على العودة إلى الفيحاء من طريق الفالوغة وفيها خليل لنا مصطاف يقال له إبراهيم[2] ، ولما هبطنا بالسيارة واديه ، وحللنا ناديه ، ونلنا قسطنا من الراحة وحظنا من الراح[3] نهضنا لامتطاء سيارتنا فأقسم علينا : لا رحيل لكم اليوم ولا براح ، فلم نجد بداً من النزول عليه مكرهين ومكرمين

وغداةَ غدٍ صعدنا إلى « عين الصحة » المعدنية فى جبل الفالوغة والتى تعلو سطح البحر بنحو ١٥٠٠ متر ، وقد اشتهرت بأنها للرمل حطوم ، وللأطعمة هضوم ، اشتهار « عين بُـقّين » فى وادى الزبدانى من مصايف دمشق . وأخبرنى الكيماوىّ الثقة الذى حلل الماءين أن ماء بقين أخف مياه الشام فى الثقل ، وأشفاها لآلام الكلى والعلل ؛ وإنما سميت بعين بقين لأن المريض إذا عبّ

(١) كذا كان يسميها آباؤنا ، وهى اليوم (جنيف) مقر عصبة الأمم

(٢) السيوفى من قضاة دمشق العادلين

(٣) أى القهوة وهى راح العربى

منها عبتين ، أو شرب كما يقول العامة بُـقّين ، هضم الطعام وشفى الكليتين

وإلى جانب عين الصحة مقهى صغير تناولنا فيه صبوحنا من صهباء المـاء والخبز المرقوق واللبن الخاثر والبيض المسلوق ؛ وقد شاركنا فى رحلة الصباح هذه وفى الاصطباح صديقان كريمان : القاضى خليل رفعة[1] والصوفى شمس الدين ، وتخلف فى الفالوغة السيد ابراهيم معتذراً وقد خشي أن يبهره الصعود ، فاغتاظ رفاقه لتخلفه هذا لأن شرط المرافقة الموافقة ، وأغرونى بهجوه فقلت لهم على العين ، هذين البيتين ، ومسحة الارتجال بادية عليهما :

إذا لم تزر فالوغة ورياضها ولم تشهد الجنات حولك ألفافا
وإن أنت لم تصعدْ إلى عين صحة ولم ترو منها لم تكُ الدهر مصطافا

وعلى يسار المقهى خيام أربعة من الطيارين الفرنسيين مع أزواجهم وأطفالهم ، وبذلة أحدهم تتألف من سرويل قصير أزرق وقميص شفاف أبيض ، والنحور والصدور والظهور حواسر ، والأفخاذ والسوق والاقدام ظواهر ؛ وهؤلاء الرفاق يأتون من مطار رياق للاستشفاء بالماء والهواء ، فيقضون فى الأسبوع يوما كاملا فى مثل خيام الكشافة ويعيشون فيها عيشة الكشافة ومعهم جميع أدوات المطبخ فلا يحتاجون في ملهي الأطعمة إلى شيء غير ماء العين . ولعل الارتياض على الحياة الكشفية فى الصغر قد ذلل لهم فى الكبر صعابها وألان لهم رقابها وجعلهم يبتغون لها الوسائل والأسباب

وفى نحو الثامنة من الصباح وقفت على العين سيارة ترفع علماً فرنسيا صغيراً يدل على أن ركابها من الفوضية الفرنسية ببيروت وفتح الباب فنزل منها أبوان شيخان وأطفال ثلاثة يحمل كل منهم عصاً ذات زج كالمزراق ، وعلى ظهره حقيبة الجند ، وعلى رأسه قبعة كبيرة تحاكي مظلات اليمن والجزائر ، وفى رجله حذاء صفيق الجلد ناتئ المسامير يذكرنا بمداس الأصمعي الذى قال فيه : « نعم قناع القدرى هذا »

والتفت إليّ رب المقهى قائلاً : هذان الجدّان هما المسيو بريال Beriel وزوجه ، وهؤلاء الثلاثة الأولاد أحفاده ؛ يأتى بهم فى الأسبوع مرة ليصعد إلى قمة الجبل ، ويترك على العين سيارته

(١) نائب دمشق العام ومن أنصار العدل فيها ، والصوفى شيخ التكية المولوية بدمشق

وهو يرتاض بذلك وزوجه العجوز التي جاوزت الستين ، ويروض أحفاده على حياة الجنود ؛ والغربيون يعودون أطفالهم صغاراً ما يضطرون إليه كبارا ، مجارين فى ذلك غرائز الطبيعة ؛ لأننا نشاهد الأولاد يركبون العصىّ استعداداً لركوب الجياد ، ونرى البنات يكثرن الوقوف أمام المرآة تعوداً لما يعملنه وهنّ أمهات

إن حياتنا الشرقية ركود وكسل ، والحياة الغربية حياة نشاط وعمل ؛ فالجماعة منا إذا خرجوا إلى ظاهر المدينة للتنزه جلسوا على ضفة بردى أو النيل أو الفرات ، وأخذ بعضهم يغلي شراب الجاء(1) ، وشرع الآخرون فى الحديث أو الغناء ، وإلى جانبهم مضطجعون ، أو على الآرائك متكئون ؛ وإذا خرجت رفقة من الأوربيين إلى التنزه أخذوا فى الارتياض بأنواع الرياضات والألعاب ، فهذا يلاكم وذا يصارع ، وهذا عدّاء وذلك وثاب ، وهذان فريقان يجرّان الحبل ، أو يتقاذفان الكرة بالراحة(2) أو القدم ؛ فالتنزه فى عرفنا للطعام والشراب أو الاضطجاع أو السماع ؛ وفى عرف الغربي للعدو والوثب والصراع ، والحركة يراها بركة ، والتوانى والسكون هلكة

ثم التقينا على العين بإخوان لنا من رجال العراق ، فتجاذبنا أطراف الأحاديث إلى أن تحدثنا عن الانقلاب العراقى الأخير فحمدنا الله على حدوثه ، ولم يستشر فساد أو تعم فتنة ، وعلى إرساله لإنقاذ الموقف الخطير ذلك الرجل الادارىّ الحكيم ، والجندى العربى الصميم « السيد جميل المدفعى » الذى قضى حياته فى الدفاع عن حوزة العروبة ، والذي أجمعت الكلمة لسلامة دواعى صدره على الثناء عليه وعلى محبته ، والاعتصام فى هذا المأزق الضيق بعروته ، ثم ودّعنا إخواننا بعد أن تزودنا من شرب الماء عبا ، ونزلنا راجعين إلى حمّانا ونحن تمتع العيون بسواحر المناظر من وادى حمّانا الذى غنى باسمه من قبلنا لامرتين ، وكان منظر الصنوبر الأخضر على الجبال أروع هاتيك المناظر وأبدعها وأشدها للعين بهراً وللقلب سحراً ، فقد جعل كل من أصحابى يترنم ببعض الأغنيات ، وجعلنى أرتجل الشعر مغنياً بهذه الأبيات :

أوادى حمّانا سقيت وأخصبت ... رُباك مغانى الحسن والحسنات

شهدتُ لقد شاهدت فيك صنوبراً ... يبدّد ما في القلب من حسرات

وخلت الغوانى فى الجبال حواملاً ... مظلاتهن الخضر والنضرات

وسربَ نعام أبصر السيل هادراً ... فأسندَ مرتاعاً إلى الهضبات

هل المسكُ من هاماتك الخضر فائحٌ ... أم المسك من غاداتك العطرات

لَطبتَ أيا وادى الصنوبر وادياً ... وباركَكنّ الله من شجرات !

« دمشق » عز الدين التنوخى

(1) وهو الشاى كما ذكره الامام البيرونى فى كتاب الصيدنة

(2) أى التنس ، والراحة أخذها الانكليز من العربية فقالوا racket (أنظر معجم وبستر الكبير)

هكذا قال زرادشت

للفيلسوف الألمانى فردريك نيتشه

ترجمة الأستاذ فليكس فارس

أعمق الساعات صمتاً

ماذا جرى لي يا صحابى ؟ لقد سادنى الاضطراب فأضعت هداي وأرانى مندفعاً بالرغم مني إلى الرحيل والابتعاد عنكم وآسفاه

أجل ، على زارا أن يعود إلى عزلته ، غير أن الدب يرجع إلى مغارته كئيباً حزيناً . ماذا جرى لي ومن ترى يضطرنى إلى الرحيل ؟

إنها (هى) مولاتى الغاضبة ، لقد كلمتنى فأعلنت لي إرادتها وما كنت ذكرت لكم اسمها حتى اليوم ، هي أعمق ساعاتى صمتاً وهى نفسها مولاتى القاهرة ، كلمتني أمس

وسأقص عليكم ما جرى فلا أخفى عنكم شيئاً كيلا يقسو قلبكم علي وأنا أفاجئكم برحيلي عنكم

أتعلمون ماهى خشية من يستسلم للكرى ؟ إنه الذعر يستولى على الانسان من رأسه إلى أخمص قدميه ، لأن أحلامه لاتبتدئ ما لم تنسحب الأرض من تحته

إننى أضرب لكم أمثالا ، فاصغوا إلي :

أمس عند أعمق الساعات صمتاً خلت الأرض من تحتى وبدأت أحلامى

وكان العقرب يدب على ساعة حياتى فى خفقانها ، وما كنت سمعت من قبل مثل هذا السكوت يسود حولى ويروع قلبي

وسمعتها (هي) تقول لي ، ولا صوت لها : إنك تعرف هذا يا زارا فصحت مذعوراً عند سماعي هذه النجوى وتصاعد الدم إلى رأسي

فعادت هي تقول ، ولا صوت لها : أنت تعرف هذا يا زارا ولكنك لا تعلنه .

فانتفضت وأجبت بلهجة المتحدّي : — أجل إنني أعرف هذا ولكنني لا أريد أن أعلن ما أعرف

فقالت (هي) ولا صوت لها : أصحيح أنك لا تريد ؟ لا تخف نفسك وراء هذا التحدّي يا زارا

فأخذت أبكي وأرتعش كالطفل قائلا : ويلاه ، أريد أن أصرح ، ولكن هل ذلك بامكاني ؟ أعفني من هذه المهمة لأنها تفوق طاقتي

فقالت، ولا صوت لها : وما أهميتك أنت يا زارا قل كلمتك وتحطم

فقلت : أهي كلمتي ما يهم ، فمن أكون أنا ؟ إنني أنتظر من هو أجدر مني باعلانها وما أنا أهل لأصطدم بالمنتظر فأتحطم عليه

فقالت ، ولا صوت لها : وما أهميتك أنت ما دمت لم تصل بعد إلى ما أريده من الاتضاع ؟ وما أقسى ما يتشح به الاتضاع ، وما أصلب جلده .

فقلت : لقد تحمل جلد اتضاعي كثيراً ؛ فأنا ساكن عند قاعدة ارتفاعي ولم يدلني أحد بعد على ذراه العاليات ، ولكنني تمكنت من سبر أغواري ومعرفتها .

فقالت ، ولا صوت لها : أي زارا ، وأنت المعدّ لنقل الجبال من مكان إلى مكان . أفما بوسعك أن تنقل أغوارك ومهاويك أيضاً ؟

فقلت : لم تنقل كلمتي الجبال بعد ، فإن ما قلته لم يبلغ حتى آذان الناس ، لقد أتيت إلى العالم غير أنني لم أتصل به بعد .

فقالت ، ولا صوت لها : وما يدريك ..؟ إن الندى يتساقط على العشب في أشد أوقات الليل سكوتاً .

فأجبت : لقد هزأ الناس بي عندما اكتشفت طريقي ومشيت عليها ، والحق أن رجليّ كانتا ترتجفان إذ ذاك ، فقال لي الناس : لقد ضللت سبيلك يا زارا ، بل أصبحت لا تعرف أن تنقل خطاك

فقالت ، ولا صوت لها : وأية أهمية لسخريتهم ؟ لقد تخلصت من الطاعة يا زارا فوجب عليك أن تأمر الآن . أفلا تعلم أن من يحتاج الجميع إليه بأكثر من احتياجهم إلى أي شيء إنما هو من يقضي في عظائم الأمور ؟

إن القيام بالكبائر صعب ، وأصعب من هذا أن يأمر الانسان بها . إن ذنبك الذي لا يغتفر هو أنك ذو سلطان ولا تريد أن تحكم

قلت : ليس لي صوت الأسد لأصدر أوامري

فقالت — كأنها تهمس همسا — : لا يثير العاصفة إلا الكلمات التي لا صوت لها ؛ إن من يدير العالم إنما هي الأفكار التي تنتشر كأنها محمولة على أجنحة الحمام . عليك أن تسير يا زارا كأنك شبح لما سيكون يوماً في آتي الزمان ؛ وهكذا تندفع في سبيلك إلى الأمام وأنت تتولى الحكم

فقلت : إن الخجل يتولاني

فعادت تقول ، ولا صوت لها : عليك أن تعود طفلا فيذهب خجلك عنك ؛ إن غرور الشباب لما يزل مستولياً عليك لأنك بلغت الشباب متأخراً ، ولكن على من يريد الرجوع إلى طفولته أن يتغلب على شبيبته

واستغرقت في تفكيري وأنا أرتجف ، ثم عدت إلى تكرار كلمتي الأولى قائلاً : لا أريد . وعندئذ ارتفع حولي صوت قهقهة مزقت قلبي وصدعت أحشائي

وقالت (هي) للمرة الأخيرة : أي زارا ، إن أثمارك ناضجة ، غير أنك لم تنضج أنت لأثمارك ، فعليك إذن أن تعود إلى العزلة لتزيد في قساوتك ليناً

وعاد الضحك يتعالى ، فشعرت أنها انصرفت عني (هي) وعاد الصمت يسود بأعمق مما كان حولي ، أما أنا فبقيت منطرحاً على الأرض سابحاً في عرقي

والآن ، وقد أعلنت لكم كل شيء أيها الصحاب، فهأنذا أعود إلى عزلتي وما أخفيت عنكم شيئاً . أرحل عنكم بعد أن علمتكم أن تعرفوا من هو أشد الناس تكتماً ومن يريد أن يكون كتوماً

وا أسفاه ، أيها الصحاب ، إن لدي ما أقوله لكم أيضاً ، ولدي ما أبذله ، فلماذا لا أبذله الآن ؟ ألعلني أصبحت شحيحاً ؟

وما نطق زارا بهذا حتى أرهقه سلطان حزنه لاضطراره إلى الرحيل ، فبكى منتحباً وما تمكن أحد من تعزيته ، ومع هذا ما أرخى الليل سدوله حتى ذهب زارا وحده تحت جنح الظلام متخلياً عن صحبه

(يتبع) فليكس فارس

خواطر

فى الموت والخلود

للأديب عبد الوهاب الأمين

لى صديق لايخشى الموت لأنه لايفكر فيه ، ولهذا الصديق فلسفة رائقة فى الاطمئنان ، تعجبنى لأننى لا أعتقد بها ؛ وقد حاولت أن أحاوره فيها فرأيت أنه يحتمى بالعقل ويجعله مدار التفكير ، ولا يقيم وزناً لعاطفة الخوف من الموت أو الجزع من لقائه ، فهو مطمئن أولاً ، ومعتقد بتفاهة الموت ثانياً ؛ وقد اختلط هذا الاطمئنان بذاك الاعتقاد فتشكل منهما شعور جديد ، فكأن صاحبي هذا لايفكر بعقله بل يفكر بعاطفته

يقول صاحبي :

« إن الموت خاتمة طبيعية محتومة لحياة الانسان ، فالتفكير فيه عبث لاطائل تحته ، مادام أن التفكير ، مهما طال وعمق ، لايغير تلك النتيجة المحتومة ، حتى ولو صدقت ادعاءات بعض المشتغلين بالعلم من أمر إطالة العمر ، أو تجديد الشباب ، فان هذين لايعنيان الخلود . فلو فرض أن إعادة الشباب كما يصورها الدكتور « فرونوف » صحيحة ومؤكدة علمياً ، فان من الصحيح والمؤكد كذلك ، أن نهاية هذه الحياة ، مهما طالت ، هى الموت ؛ والتفكير فى الموت مهما كانت كيفيته ، سخيف لاطائل تحته

« هذا لو كان التفكير في الموت فى حد ذاته لايؤثر تأثيراً سيئاً فى أعصاب الانسان ، أما وأنه يورث السوداء ، ويسىء إلى الأعصاب ، بل ينهكها ، ويضع غشاوة بين ناظرى الانسان وبين مناظر الحياة ، فأحرى بالعاقل ألا يشترى بسعادة الاطمئنان والغفلة قلق التخوف وانتظار الشر ، وأن يستمتع بالحياة كما تأتيه لا أن يضع فى كأسها سم التخوف والتفكير فى الموت »

فاعترضت قائلاً :

« إن التفكير في الموت سخيف كما تقول ، ولكن الانسان يفكر في الموت بالرغم منه ، وهو لو وجد سبيلا إلى النسيان والغفلة عنه لما تردد فى ذلك ، ولكنى أجدنى فى بعض الأحايين ترهقني أخيلة الموت وأنا على أتم ما أكون صحة وراحة بال ، ولا يكون تفكيري هذا بإرادة منى ، فإنى لا أرغب أن أشوب حالة الراحة التى أنا فيها بقلق غير مرغوب »

فقال :

« إن هذا الوهم الذى تمكن منك بسيط ، فأنت تعتقد حين يرد ذكر الموت على خاطرك أن ذكره لايرتفع من وهمك ، وتتصور العجز ، ومن تصور حالة من الأحوال النفسية واعتقد أنه فيها ، فهو فيها لامحالة ؛ وكذلك من يتصور أنه مريض اعتقاداً جازماً ، فانه يمرض »

قلت : فما الحل إذن ؟

فقال :

« إن أبسط الوسائل للتخلص من هذه الأحوال النفسية هو الرجوع إلى « العقل » . فلو فكر المرء واستعمل عقله استعمالا صحيحاً في هذه القضية ، فإن الرهبة والجزع من الموت لا يزولان منه فحسب ، بل يرى فيهما مثالاً من أمثلة السخف تدعو إلى الرثاء .

« إن الخوف من الموت بالطبع يستلزم وجود الألم . أى أن الانسان لا يخشى الموت إلا لأنه يتصور أن فيه ألماً جسمياً أو روحياً ؛ وقليل من التروى يؤدي إلى سخافة هذا الرأي ، فإن حالة الموت لا تكون إلا إذا انتفت الحياة الشاعرة ، أو القدرة على إدراك الألم فى الإنسان . أى أن الانسان لايموت إلا وهو مائت ، ولا يشعر بألم الموت لأنه لا يشعر بالألم إلا الجسم الحى . وما دام الجسم حياً فهو غير ميت طبعاً ، وإذا مات فإنه لا يشعر ، وفى كلتا الحالتين ليس هناك ألم ولا موضوع للألم يخشاه الإنسان

« هذا إذا كان أساس الخوف هو تصور وجود الألم ، أما إذا كان أساسه الفزع من فقدان الحياة ، فإن الأمر أدعى إلى الرثاء ! فإن الذى يخشى أن يفقد شيئاً يحبه أحرى به أن لايفكر فى فقدانه ، فالتفكير فى ذلك مدعاة إلى تشويه حسن ذلك

الشيء ، وهؤلاء السوداويون الذين يدعون حب الحياة وهم يفكرون دوماً أن هذه الحياة زائلة وأنهم فاقدوها لامحالة مخطئون ولا شك ، وأحرى بالمرء أن يعيش كما جاء إلى الدنيا ، فلا يسأل ولا يضع موضوعاً للتساآل أمام عينيه ، فإنه سيموت قبل أن يصل إلى جواب »

***

وقد جرني التفكير فيما يجرى فى هذا السبيل إلى التفكير في « الخلود » ضد الموت وعدوه ، فالمرء بطبيعة الحال يخشى الموت ولا يرغب فيه ، وهو بذلك كأنه يريد الخلود ، فما هو الخلود يا ترى ؟ وكيف يرى الحياة مخلوق خالد ، لو أمكن تصوره ؟

وقد قرأت كثيراً فى كتب الأدب عن الفكرة التى تمثل للأديب في صدد الخلود ، والحياة الخالدة و « الفردوس » ولكنى لا أكتم القاريء أننى لم أستطع أن أرضى شعورى الفنى بلذة الحياة الخالدة ، فضلاً عن أنى لا أستطيع أن أفهم كيف تكون هناك « حياة » فى « خلود » ! كما أن من المعلوم أيضاً أن الخلود لم يجد من الأدباء على وجه العموم التفاتاً جدياً بل كان فى أكثر كتابات الكاتبين الرمزيين والخياليين فقط ؛ ولعل الأستاذ المازنى أشد أدباء العربية سخرية بالخلود وبالأدب الخالد .

وما دمنا فى حديث الخلود فى الأدب فما هو يا ترى المقصود به؟ وأى أدب خلد أو سيخلد ؟ وهل فى وسع المرء أن يتصور للخلود عمرا ؟

لا ريب أن تاريخ الأدب لا يتعدى بضع مئات من السنين ، وأرجو ألا يسارع القارئ فيذكر لي أوراق البردى وشعراء الفراعنة فهذه الآثار لم تخلد — إن صح أنها خلدت — لأنها من الأدب بل لأنها من التاريخ ... فما قيمة مئات السنين هذه في عمر الدنيا ؟ وهل هذه المئات من السنين هى المفهوم من معنى « الخلود » فى الأدب ؟ إن كان ذلك فما أشد بؤس الأدب وما أحوجه إلى إلى خلود أطول عمراً !

هذا فى الأدب ، أما فى حياة الفرد فالرزء أعم كما أسلفنا ، وبالرغم من أن جميع البشر يتمنون الخلود فإنه ليس أبرد منه وأخلى من السعادة الموموقة . وأمامى قطعة من شعر العقاد لعله لم يقلها فى هذا المعنى ، ولكنه يستفاد منها وهي :

لو علمنا حظنا من يومنا ... ما بكى الصبية فى غض السنين
أى كنز قد سفكناه على ... حسرات تضحك القلب الحزين!
حجبت عنا مزايا عمرنا ... فبكى من هو بالصفو قمين
وقضينا العمر لاندرى بما ... بين أيدينا وندرى ما يبين
نجهل الورد فنرميه ولا ... يجهل الشوكَ الفتى وهو طعين
أترانا لو علمنا حظنا ... من غد نقنع بالحظ الرهين ؟
أم ترانا نحمد الخطب إذا ... حان علماً بالذى سوف يحين ؟
إن شكونا قبل لاتشكوا فقد ... أنصفتكم هذه الدنيا الخؤون
لو درى الطفل بما سوف يرى ... شقى الطفل بما سوف يكون

والمازنى يقول فى أحد كتبه ما مؤداه : تعساً للجيل الذى يكون فى حاجة إلى أدبنا هذا . وهو يقولها في سخرية ، فلعله لايقصد أن يقتصر على السخرية فقط فإن فى هذه الكلمة معنى حقيقياً عظيم الأهمية

« بغداد » عبد الوهاب الأمين

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٢٣١ — وأما بذل بقول فمحال

فى (محاضرات الأدباء) : كان محمد بن بشير ولى فارس فأتاه شاعر فمدحه فقال : أحسنت ! وأقبل على كاتبه وقال : أعطه عشرة آلاف درهم ، ففرح الشاعر ، فقال : أراك قد طار بك الفرح بما أمرت لك . يا غلام ، اجعلها عشرين ألفاً . فلما خرج قال الكاتب : جعلت فداك ! هذا كان يرضيه اليسير ، فكيف أمرت له بهذا المال ؟ ! فقال : ويحك ! أوتريد أن تعطيه ذلك ؟ إنما قال لنا كذبا سرّنا ، وقلنا له كذبا سرّه (١) ، فما معنى بَذْل المال ؟ أما قول بقول فنعم ، وأما بذل بقول فمحال

٢٣٢ — فتركتها للناس لا لله

أبو جعفر القرطبي :

وأبى المدامة ما أريدُ بشربها
صلَفَ الرقيع ولا انهماك اللاهى (٢)

لم يبق من عصر الشباب وطيبه شيء كعهدى لم يحل إلاهى
إن كنت أشربها لغير وفائها فتركتها للناس لا لله (٣)

٢٣٣ — راقه باعتداله وهندسته

فى (أدب الكتاب) للصولي : كتبَ سليمان بن وهب كتاباً إلى ملك الروم فى أيام المعتمد (العباسى) فقال : ما رأيتُ للعرب شيئاً أحسن من هذا الشكل ، وما أحسدهم على شيءٍ حسدى إياهم عليه

وإنما راقه باعتداله وهندسته وحسن موقعه ومراتبه

---

(١) مما يروى :
ألم تر أنى أزور الوزير فأمدحه ثم أستغفر
فأثنى عليه ويثنى على وكل بصاحبه يسخر

(٢) وأبى : الواو للقسم

(٣) إن كنت : أى والله لئن كنت ، حذف القسم ولامه الموطئة أو المؤذنة ، وربط جواب الشرط بالفاء فى (فتركتها) مرجحاً على القسم وهذا قليل كما بينت ذلك من قبل

٢٣٤ — وهذا أيضاً مما يكتب

كان أبو حاتم السجستانى يكتب عن الأصمعى كل شيءٍ يلفظ به من فوائد العلم حتى قال فيه : أنت شبيه الحفَـظة (١) تكتب لغط اللفَـظة . فقال أبو حاتم : وهذا أيضاً مما يكتب

٢٣٥ — الحجاج السكهاكه

في (الفائق) للزمخشرى : الحجاج (٢) كان قصيراً أصعر (٣) كُها كِهاً (٤) : هو الذى إذا نظرت إليه كأنه يضحك وليس بضاحك ، من السكهكهة (٥)

٢٣٦ — فاجتمع له العمى من جهتين

ابن الأثير فى كتابه (المثل السائر) : بلغنى عن أبى العلاء ابن سليمان المعرى أنه كان يتعصب لأبى الطيب حتى أنه كان يسميه الشاعر ، ويسمى غيره من الشعراء باسمه ، وكان يقول : ليس فى شعره لفظة يمكن أن يقوم عنها ما هو فى معناها فيجيء حسناً مثلها . فياليت شعرى أما وقف على هذا البيت :

فلا يبرم الأمر الذى هو حالل ولا يحلل الأمر الذى هو يبرم

فلفظة حالل نافرة عن موضعها وكانت له مندوحة عنها لأنه لو استعمل لفظة (ناقض) لجاءت اللفظة قارة فى مكانها . لكن الهوى — كما يقال — أعمى . وكان أبو العلاء أعمى العين خلقة وأعماها عصبية . فاجتمع له العمى من جهتين (٦)

---

(١) الملائكة الحافظين للأعمال : الكرام الكاتبون

(٢) سمي عبد الملك ابنا له الحجاج لحبه الحجاج بن يوسف وقال فيه :
سميته الحجاج بالحجاج الناصح المكاشف المداجى
المداجى : السياسى ...

(٣) فى النهاية واللسان : اصعر (بالعين) والصعر ميل فى العنق وانقلاب فى الوجه

(٤) فى اللسان والتاج أيضاً : كها كهة

(٥) فى النهاية : من السكهكهة : من القهقهة

(٦) جاء هذا الكلام فى بحث المنافرة بين الألفاظ فى السبك ، ومما أورده أيضاً : أنشد بعض الأدباء بيتاً لدعبل وهو :
شفيعك فاشكر فى الحوائج إنه يصونك من مكروهها وهو يخلق
فقلت : له عجز هذا البيت حسن ، وأما صدره فقبيح لأن سبكه قلق نافر ، وتلك الفاء التى في قوله : (شفيعك فاشكر) كأنها ركبة البعير ، وهى فى زيادتها كزيادة الكدش

٢٣٧ — لصحت بهذا البيت

فى (الكنز المدفون) : روى عن الشيخ العارف بالله أبى العباس السيارى [١] أنه قال : لو صحت صلاة بغير قرآن لصحت بهذا البيت [٢] :

أتمنى على الزمان محالا   أن ترى مقلتاىَ طلعةَ حرٍّ

٢٣٨ — بأنامل الحور على النور

قال جحظة فى أماليه : حدثنى أبو حرملة قال : قال على بن عبيدة الريحانى : حضرنى ثلاثة تلاميذ لى فجرى لى كلام حسن فقال أحدهم : حقُّ هذا الكلام أن يكتب بالغوالى [٣] على خدود الغوانى

وقال الآخر : بل حقه أن يكتب بقلم الشكر فى ورق النعم

وقال الآخر : بل حقه أن يكتب بأنامل الحور على النور

٢٣٩ — وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم

قال الحريرى فى كتابه توشيح البيان : كان أحمد بن المعذل [٤] يجد [٥] بأخيه عبد الصمد وجداً عظيما ، على تباين طريقيهما ؛ لأن أحمد كان صواماً قواماً ، وكان عبد الصمد سكيراً خموريا [٦] وكانا يسكنان فى دار واحدة ينزل احمد فى غرفة أعلاها وعبد الصمد فى أسفلها ، فدعا عبد الصمد ليلة جماعة من ندمائه ، وأخذوا فى القصف [٧] والعزف حتى منعوا أحمد الوِرد [٨] ، ونقضوا عليه التهجّد ، فاطلع عليهم وقال : « أفأمن الذين مكروا السَّيئاتِ أن يخسف الله بهم الأرض »

فرفع عبد الصمد [٩] رأسه وقال : « وما كانَ اللهُ ليعذِّبهم وأنتَ فيهم »

---

(١) القاسم بن القسم الزاهد المحدث شيخ أهل مرو ، وفاته سنة ٣٤٢
(٢) لعلى بن محمد البديهى وقبله :

مر من كنت أصطفيه وللدهـــر صروف تشوب حلواً بمر

(٣) جمع الغالية : نوع من الطيب مركب من مسك وعنبر وعود ودهن (النهاية) قال الراغب : أول من سمى الغالية معاوية ، وذلك أن عبد الله بن جعفر اتخذها وأهداها اليه فسأله عن كانفتها فأخبره فقال : هى غالية
(٤) بالذال لا بالدال (٥) وجدبه : أحبه (٦) مولدة وهى كثيرة
(٧) الجلبة والاعلان باللهو (اللسان)
(٨) الورد : الوظيفة من قرءاة ونحو ذلك
(٩) من كلام عبد الصمد :

أرى النـاس أحدوثة   فكونى حديثاً حسن
إذا وطـنى رابنى   فـكل بلاد وطن

وكان عبد الصمد شاعر البصرة وظريفها كما قال الثعالبى

٢٤٠ — جمال ، جلال ، كمال

قال أحد العلماء : تجلّى الله على المسجد الأقصى بالجمال ، وعلى المسجد الحرام بالجلال ، وعلى مسجد الرسول بالكمال

فذلك يوقف [١] النواظر ، وذاك يملأ الخواطر ، وهذا يفتح البصائر

٢٤١ — وتسكينها حركات الطرب

فى (المُغرب فى حلى المَغرب) : قال أمين الدين بن أبى الوفاء شاعر الفسطاط فى مغن مبدع :

تنبا محمدُ فى فنه   وآيته أن شدا أو ضربْ [٢]
بقـول أعاجم أوتاره   أقاول تُخرس فصْح العربْ [٣]
فتحريكُها سكنات الأسى   وتسكينُها حركات الطربْ

٢٤٢ — رأينا العفو من ثمر الذنوب

فى (خاص الخاص) : كان الصاحب إذا أنشد بيت السلامى [٤]

تبسّطنا على الآثام لمـا   رأينا العفو من ثمر الذنوب

يقول : هذا (والله) معنى قد كان يدور فى خاطر الناس فيحومون حوله ويرفرفون عليه ولا يتوصلون إليه على قرب مأخذه ، حتى جاء السلامى فأفصح عنه ، وأحسن ماشاء ، ولم يدر مارمى به

٢٤٣ — بيضاء وخضراء وسوداء

يونس النحوى [٥] : الأيدى ثلاث : يد بيضاء ، ويد خضراء ، ويد سوداء . فاليد البيضاء هى الابتداء بالمعروف ، واليد الخضراء هى المكافأة على المعروف ، واليد السوداء هى المن بالمعروف

٢٤٤ — .. وامش حيث شئت

سأل رجل أحد الأئمة : إذا شيعنا جنازة [٦] فقدامها أفضل أن نمشى أم خلفها ؟

فقال : اجهدْ ألا تكونَ عليها وامش حيث شئت ...

---

(١) أوقف : قيل إنها غير مسموعة وقيل غير فصيحة . وذكروا عن أبى عمرو بن العلاء أنه قال : لو مررت برجل واقف فقلت له : ما أوقفك هينا ، لرأيته حسناً .
(٢) منع الاسم للوزن
(٣) أقاول : هى أقاويل لـكنه لعب بها ، وهم الشعراء . (فصح) جمع فصيح ، بضمتين وسكن للوزن
(٤) نسبة إلى مدينة السلام : بغداد
(٥) يونس بن حبيب روى سيبويه عنه كثيراً
(٦) لفظة نبطية بكسر الجيم وفتحها ، وللغويين كلام كثير فيها

البعـــــاد

للأستاذ فخرى أبو السعود

آه ما أعذبَ البعادَ وإن أز   رَى عليه مِن قبلِنا العاشقونا
إننى أشتهى البعاد زمانا   مثلما أشتهى التواصل حينا
لا أُحبُّ اللقاء عهداً مقيما   مستمراً به تُقضّى السنونا
ما ألذَّ الهوى لقاً ووداعاً   وكتاباً أدّى التحايا أمينا
إن هذا البعادَ يُذكى بىَ الحـــبَّ   ويُحْيى ولائى المكنونا
فأُفدّيكِ فى النوى بحياتى   حيثما تُصبحين أو تُمسينا
وأحيّيك كلما ذكّرتنيـــك   رياضٌ رفّتْ علينا غصونا
وأرى أن ودّنا يعبر السهـــل   ويرْقَى الربى ويطوى الحزونا
إن هذا البعاد يبعث بى الأشْـــواقَ   حرّى ويستجيش الحنينا
ويُعيد العذابَ مِن ذكرياتى   وقديماً من عهـدنا ودفينا
ويثير المنى بنفسى ولن ألـــقَى   بأسمى المنى سواكِ قمينا
أتمنى اللقا بيوم لنا أر   جعُ فيه إليك أو ترجعينا
أتمنى اللقا وفيكِ وفاء   باتَ عندى بأن تبرّي ضمينا
حبُّنا مِن صفاتِهِ أنه برٌّ   وثيق الذمام يعلو الظنونا
وأَحَبُّ الأيام عندىَ ما أرْ   قُبُ فيه لقاءك الميمونا
أُنفقُ العمرَ مسرفاً فإذا أقـــبلَ   يومُ اللقاء كنتُ ضنينا
كلَّ حين لنا لقاء سعيدٌ   ووداعٌ أطوى عليه شجونا
وتزيدين فى البعاد جمالا   ورواء وبهجة وفتونا
وتزيدين فى الشمائل إينا   ساً وعطفاً كما أُحبُّ ولينا
وتزيدين كلَّ حين سموّا   وعلوّا فاتَ الذرى والقنونا
أنتِ كنزٌ من المحاسنِ أُخفيـــه   نفيساً عن ناظرىَّ ثمينا
كى أراه إنْ عُدتُ أبغيه قدْ زا   دَ جمالاً يسبي النهى والعيونا
كلَّ يوم أُجدِّد الحبَّ بالبُعـــد   وأُحيي منه فنوناً فنونا
فكأنى عشقتُ ألفاً وما زلـــ   ـتُ الفتى الوافىَ الذى تعرفينا
ما أحبَّ الهوى افتقاداً ووجدا   ناً وقرباً حيناً وبعداً شطونا

فخرى أبو السعود

فريسة البغاء

للأستاذ ضياء الدين الدخيلى

شلت يد قادتكِ للهاوية   واتبذت جهلاً سواء السبيل
ورغبة جياشة عاتية   عمت فأغرتكِ بمرعى وبيل

***

جنايةَ المجتمع الفاشل   كُسِفتِ فى حمأة آثام
طويتِ دون لذة العاجل   تاريخ أجيال وأقوام

***

للشهوة العمياء أسلمت لم   ترعى نواميس صلاح العباد
فعدت من خزى بإكليل ذم   شعار موت النفس نهب الفساد

***

يا أم ضيعتِ وكنتِ الحنون   لو راعت الأمة آمالها
قد عاقبتها بالضياع السنون   إذ وأدت بالشر أشبالها

***

أمسيت فينا شبحاً للفناء   وكنت للنوع ضمان الخلود
صلتِ عليه بجراثيم داء   كم هدمت آلامه من وجود

النجف الاشرف — العراق

ضياء الدين الدخيلى



الفن الهندى

للدكتور أحمد موسى

مقدمة

كان لما كتبناه على صفحات « الرسالة » من الأثر ماشجعنا على مواصلة البحث والتحرير فى موضوع ظننا لأول وهلة أنه ليس من الموضوعات التى يقبل القراء على قراءتها إقبالهم على غيرها، وقد وصلتنا رسائل عدة، استفهم كاتبوها مرة عن بعض التفاصيل وأخرى امتدحوا فيها خطتنا فى الدرس والبحث، وثالثة يطالبوننا بأن نكثر من الكتابة عن الفن الشرقى على وجه الخصوص.

ولما كان تاريخ الفن لايعنى بفن بعينه دون سواه، ولما كانت رغبتنا هى العمل على إيجاد ثقافة فنية أقرب إلى الكمال، وغايتنا هى الوصول إلى ما يسمو بذوق القارئ، فيستطيع تقدير الجمال والتعرف على ناحية فذة فى تاريخ الحضارة الانسانية كلها، وجدنا أننا نستطيع الآن أن نبدأ بدرس الفن الهندى — وهو فن شرقى — لاسيا وقد فسرنا مميزات الفن المصري، وأوضحنا فى شئ من الاسهاب آثار أكروبوليس أثينا، وآثار بابل وآشور كما تناولنا بالبحث بعض أقطاب الفن أمثال روبنز ورمبراندت وجويا وليوناردو وميكيلانجلو ورفاييللو دون عناية بترتيب زمني أو مدرسي وقصدنا بذلك تبسيط الدرس

على أن درس الفن الهندى يكاد يكون من الدراسات المعقدة ولا سيا أن معرفتنا بتفاصيل العقائد الدينية فى تلك البلاد تكاد تقرب من المعرفة الاجمالية، كما أن المعالم الأولى للفن الهندى مفقودة تماماً بالنظر إلى أن المشيدات الفنية أقيمت كلها من الخشب فى أول الأمر فتلاشت معالمها بمضى القرون وأصبحنا أمام آثار حجرية بدأت بعد الوصول بالفن الهندى إلى درجة عظيمة تستحيل معها معرفة المرحلة الابتدائية لهذا الفن؛ كل هذا إلى أن الهند محاطة من الشرق والجنوب والغرب بالمياه، ومن الشمال بجبال عظيمة، جعل الفن الهندى قائماً بذاته لا تجد له نظيراً بين الفنون الأخرى من الوجهة العامة. نعم يرى الدارس المدقق أوجه الشبه بينه وبين الفنون الأسيوية، ولكننا هنا لا نتعمق فى البحث والاستقصاء، وكل ما نريده هو الإحاطة الإجمالية، وفهم أبرز المميزات للفن الهندي، والوقوف على مدى ما وصل إليه الفنان فى هذا المجال

وخير وسيلة وأبسطها لهذه الغاية هي تقسيم الفن الهندى إلى ثلاث مراحل: الأولى مرحلة البراهمة التى استمر أثر حضارتها إلى حوالي سنة ٢٥٠ ق . م . والثانية مرحلة البوذيين التى بدأت عند ما نادى بوذا بمذهبه فى القرن السادس قبل الميلاد، وظلت حتى كان المذهب البوذى هو الدين الرسمى للبلاد بواسطة الملك أسوكا حوالى سنة ٢٥٠ ق . م . أما المرحلة الثالثة فهى المرحلة البراهمية الجديدة التى بدأت عند إدماج المذهب البوذى فى المذهب البراهيمى صاحب الغلبة فى القرن السابع بعد الميلاد . وقد بلغ الفن الذروة فيما بين القرن الثامن والثاني عشر بعد الميلاد، وبعدئذ دخل الاسلام بسطوته إلى تلك البلاد من القرن الثانى عشر

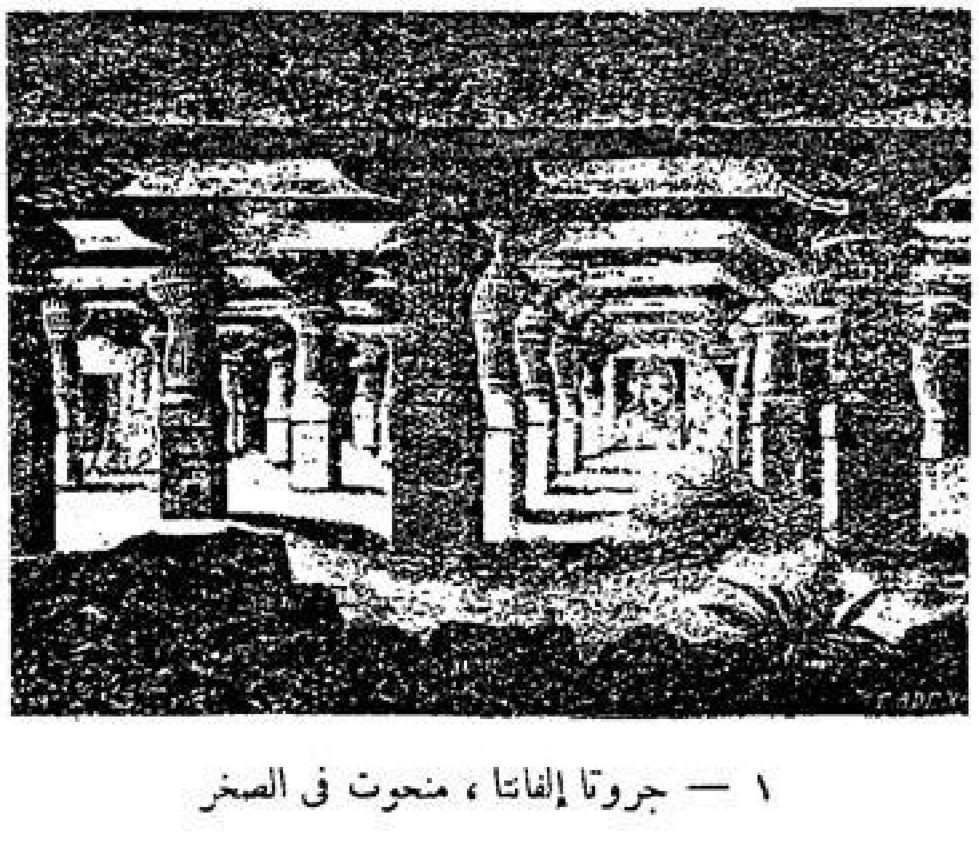
وبدأ الفن الهندي بمعناه الكامل فى المرحلة البوذية حيث توجد أقدم الآثار الجديرة بالتسجيل والدرس والتى يرجع عهدها إلى عصر الملك أسوكا

وخير الأمثلة عليها المبانى بأعمدتها التذكارية فى « الله أباد » و« دهلى » وغيرهما، وفيها كلها أقيمت هذه المعابر لتسجيل النصر لبوذا وطراز الأعمدة التذكارية يتلخص فى أنها أقيمت على قواعد

مستديرة الشكل تحمل تيجاناً على هيئة زهرة اللاوتس وعليها الأسد رمزاً لبوذا

هذا إلى جانب بناء مجموعات من الأعمدة التذكارية على قواعد مستديرة الشكل تحمل مبانى صامتة من الحجر المحروق ، وقد أخذ شكلها التكوينى هيئة القباب ، وإلى جانبها خصصت غرفة صغيرة لدفن الأجسام المقدسة ، أحيطت جميعها بسور عال ذى بوابة كبيرة من الخشب . وأقدم أنموذج لهذا النمط البناء المسمى ستوبا سانتشى ، يرجع تاريخه إلى عصر أسوكا ، وقد بلغ ارتفاعه سبعة عشر متراً ، وبه أربع بوابات ذات نقوش وزخارف بديعة .

هذا إلى جانب المعابد المنحوتة فى الصخر والتى يتمثل فيها الفن الهندى البوذى تمثيلاً جيداً ، نحتها وهيأها البوذيون ، وكانت النمط الذى سار عليه البراهميون فيما بعد . فأنشأوا المعبد على هيئة مربع قسموه بواسطة الأعمدة إلى ثلاثة أجنحة (أشبه بالكنائس بازيليكا) فكان الجناح الضيق منتهياً بفتحة كقبلة صغيرة على هيئة نصف دائرة وضع



١ — جروتا إلفانتا ، منحوت فى الصخر

فيها تمثال بوذا أو صورته . أما الحوائط فكانت كلها مزخرفة



٢ — مقابر ميرا ، صخرية

ومنقوشة ، وإلى جوار هذا المربع غرف كثيرة وطرق ومسالك وردهات . كل هذا منحوت فى الصخر مما يثير الاعجاب حقاً ، كتلك التى نحتها المصريون فى الصخر أيضاً (راجع الرسالة — الفن المصرى ، العمارة المصرية)

أما المدخل العام فكانت واجهته جميلة التكوين ، تأخذ بلب الناظر إليها لما فيها من مظاهر العناية الفائقة والدقة المتناهية ، هذا إلى جانب التماثيل والمنحوتات التى لا تقل قيمة فنية عن بقية البناء .

أما الدعامات والأكتاف الساندة فكانت مختلفة التكوين سائرة على غير قاعدة هندسية فنية ثابتة . والناظر إليها يرى أنها



٣ — جروتا كايلاسا

وأهم وأبرز نماذج لهذه الأنماط المعمارية تنحصر فى حدود الهند الشمالية الغربية بالقرب من بمباى وكارلى وأدشونتا وبهايا وإيلورا ؛ وأقدم هذه كلها يرجع تاريخه إلى سنة ١٥٠ ق . م ، وأعظمها وأشهرها وأجملها أقيمت فى وقت الانتقال من الديانة البوذية إلى البراهمية بين سنة ٥٠٠ وسنة ٨٠٠ بعد المسيح

وتعد معابد إيلورا الصخرية على الخصوص من عجائب العمارة الهندية وتشمل الطرازين البوذى والبراهمى معاً ، وبعض هذه المعابد على سفح الجبل الجرانيتى ، وبعضها الآخر منحوت فيه من الداخل وكلها تقرب من ثلاثين معبداً وديراً

(له بقية) احمد موسى

تشبه فى بعض أجزائها تلك التى عملت على الطراز الباروكى فى أوربا لولا ما غلب على حليتها من الخيال الشرقي

وكانت الأعمدة حيناً مضلعة ، وقد بلغت أضلاع بعضها أحياناً الستة عشر ضلعاً ؛ وكانت التيجان أعلاها مربعة الشكل أو على قطعة حجرية ذات ثمانيـة أضلاع أو مربعة الشكل أيضاً . وكانت حيناً آخر مستديرة تسير على طولها قنوات رفيعة وتيجانها مستديرة مرة ، وعلى هيئة كرة منبعجة مرة أخرى



٤ — پاجودا مهبلجاپور



من أساطير الإغريق

(القصة الخالدة التي أوحت إلى شاكسبير روميو وجوليت)

التوت الأبيض والتوت الأحمر

أو (بيرام وتسبيه)

للأستاذ دريني خشبة

كان أجمل شباب بابل ، وكانت أجمل حسانها

كان فتنة فى فتنة ، فى جسم قوى ، وقلب حمي ، وخلق حي ، وقوام مفتول ، ونفس حلوة ساكنة سجواء[1] ... وكانت قسيمة وسيمة ، خفية لطيفة ، غضة كالورد عطرية كأنفاس البنفسج ؛ تفتر عن فم خمرى شتيت ، وترنو بعينين دعجاوين نجلاوين ؛ وترسل شعرها المُغْدَوْدِنَ [2] على ظهرها العاجىّ تارة ، وصدرها المرمرىّ أخرى ، يداعبه النسيم ، وتقبّله الآلهة ، وتنتظم فيه حبّات القلوب

وكان بيتاهما متلاصقين ، فكان يراها وكانت تراه ، وكان يلقاها وكانت تلقاه ؛ وكانا يتلاعبان فى الصغر ، طفلين كالملائكة ثم شبا ، فكانا ينفران إلى الخلاء والأدغال ، ويلتقيان عند النبع القريب ، ويتسلق بيرام أشجار التوت الأبيض — ولم يكن التوت الأحمر قد عرف بعد — فيهز أغصانها وأفنانها ، ويساقط الثمر الشهى اللذيذ على سندس العشب ، رطباً جنياً ... فتأكل تسبيه ، وتقر به عيناً ! !

ثم ترعرعا أيضاً ؛ ودبت الحياة الحلوة الجميلة ، حارّة متدفقة زاخرة ، فى قلبيهما الصغيرين ؛ وأخذ الفؤادان الصغيران يشبان إلى الأعين السعيدة النقية الطاهرة ، يرى كل إلى صاحبه ، ويتزوّد كل من جمال أخيه زاد الهوى وذخيرة الحب ، للأيام المقبلات

ولم يعرفا أنه الحب ، ذاك الذى يخفق فى صدريهما أول الأمر ولكنهما عرفاه ، وعرفاه معرفة كلها شجو وكلها حنين حين ألح عليهما وحين كانا يفترقان أشوق ما يكونان إلى لقاء ، وأصبى ما يكونان إلى اجتماع ... ثم عرفا كيف يتشاكيان وكيف يتباكيان وكيف يكون الليل جحيما حينما يقبل فيفصل بينهما بظلامه ، ويجمع بين روحيهما بسهده ودموعه وطويل أنينه ، وكيف يكون فردوساً خالداً حينما يجمع بينهما فى يقظة أو منام

ولم يقو بيرام على عذاب البعد ، فاتفق وتسبيه على أن يكلم أباه ليكلم أباها فى الخطبة ، ولكن الوالد أبى واستكبر ، ورفض أن تكون هذه الفتاة التى هى مطمح أبصار شبان المدينة زوجة لولده ، وكذلك أبى والد الفتاة ؛ ثم شجر الخلاف واتسع ، وكثرت شياطينه ، وأحيا عداوات قديمة ، فتدابر القوم وتناكروا ولكن ما فى قلبى الحبيبين ظل على ما كان عليه ؛ بل ألهب البعد الذى جرّت إليه الخصومة أوار حبهما ، فازدادا هياماً ، وذابا غراماً ، وكانت عداوة أهليهما عليهما برداً وسلاماً

ولم يعد يفكر إلا فيها ، ولم تعد تفكر إلا فيه ، وراح ينظم الشعر يتغنى به برحاه ، ويرسل موسيقاه يكلم بها السماء عسى أن ترق له آلهتها فترحمه مما يقاسى ... وراحت هى تبكى وتتكلم بلغة الدموع إلى نفسها الملتاعة ، وترسل آهاتها فى صميم الليل تتردد بين النجوم الخفاقة الكابى تتوسل إلى أرباب الرحمة والحب أن تدرك بلطفها ضعف الحبيبين المظلومين

وتصدعت السماء ، وانهمرت شآبيب الرحمة ، وانهل فيض الحنان ، وأمرت الآلهة فزلزلت الأرض زلزالها ... وكانت الغرفة التى ينام فيها بيرام ملاصقة للغرفة التى تنام فيها حبيبته تسبيه ، وكان يفصلهما جدار مشترك بين المنزلين المختصمين ، فأحدث الزلزال فى هذا الجدار صدعاً صغيراً كالشعرة ، فوصل هواء الغرفتين ، وحمل كلام الحبيبين ، وأخذت موسيقى بيرام وغناؤه

(١) ساكنة (٢) المغدودن : الناعم الطويل

ينسابان إلى غرفة تسبيه ، وأخذ بكاء تسبيه وآهاتها تنساب فى غرفة بيرام ؛ وأخذت النجوى الحلوة ، والشكوى الجميلة ، وغزل الكلام ، وحنين القلوب ، يتنقل فى بروج هذا الشق كأنها كواكب السعد تحدوها الآهات الملتهبة ، وتذهب بها القبلات الحارة ، ترف بأجنحة من أثير من فم إلى فم ...

— تسبيه ، تسبيه !

— من ؟ من يناديني ؟

— تسبيه ، هو أنا ، أنا بيرام !

— من أين تتكلم ؟

— من هنا ... ألم تشعرى بالزلزلة ؟

— آه ! شعرت بها فى العشاء الآخرة ليلة أمس

— إنها أحدثت فى الحائط الذى يفصل بيننا شقا ... وأنا أكلمك منه

— بيرام !

— تسبيه !

— إذن لقد رثت الآلهة لحالنا !

— واستجابت دعاءنا يا تسبيه ، لقد حركتها موسيقاى !

— إذن كنت تعزف وتتغني ، بينما كنت أبكي وأئن وأذوى !

— لا ! ولكنى كنت أسكب نفسى دموعاً على أوتار القيثار !

— يالقسوة هذا الجدار يا بيرام ! إنه يفصل بيننا بشدة !

— هو على كل أرحم بنا من أبوينا ... أليس قد انفرج ليصل حديثنا ؟

— نشكره ، إن من الصخر لما يتفجر منه الماء !

— نشكره جداً يا تسبيه ... وأشكره أنا خاصة لأنه فرج عن قلبى بالتحدث إليك

— بيرام !

— حياتى !

— هل الجنة أجمل من سجننا هذا ؟

— إنه أجمل من أنضر الجنان يا تسبيه !

— وهذا الظلام ! أليس هو أضوأ من سنا الضحى ؟

— لأننا نتحدث فيه يا أختاه !

— أحب أن أسمع موسيقاك يا بيرام تتدفق فى روحى خلال هذا الجدار

— ليس أحب إلىّ من ذلك يا تسبيه

— أنا لم أسمعك تغنى مذ تناكر أهلونا

— سأفعل إن وددت !

— وماذا عساك تغنى ؟

— كل أغنياتي التى ترنمت بها فيك ؟

— ألا تغنى شيئاً آخر ؟

— للآلهة ! لأنها أنعمت علىّ بحبك !

* * *

وهكذا كانت أحاديث الحبيبين المعذبين كلما جنهما الليل ، وضمها غاشى الظلام ؛ أحاديث كأوشية الروض ، وأفواف الزهر ونجوى البلابل ، ممزوجة بعبرة أو عبرتين يريقانهما على جفاء الأهل ، ولدد الطباع ، وقسوة الأيام

ولم يحتملا هذه الحال طويلاً ، فلقد شفهما الهوى ، وأنحلتهما الصبابة ، وفعل الحب فى قلبيهما الضعيفين أفاعيله . ففى ليلة سافرة البدر ، ساجية النسيم ، صمتت فيها الطبيعة ، وتكلم القمر ، دار بين العاشقين الحديث الآتى :

— تسبيه ؟ !

— بيرام !

— أوشك القمر أن يكون بدراً ياحبيبتى !

— إنه جميل الليلة ، وحبذا لو ظل جميلاً الليالى المقبلة ...

— إن القمر جميل دائماً ... أليس هو ابتسامة هذه الدنيا فى ليالى العاشقين ؟

— لكنه صامت أبداً ... إنه أبكم لا يعى !

— سو ... لا تقولى ذلك يا تسبيه ... قد تسمعك ديانا فتغضب !

— هل يتكلم ؟ هل يفهم ؟

— أما أنه يتكلم فحق ... لكنه لايتكلم بلسان كلساننا ... إنه يتكلم بلسان من فضة ياتسبيه ، لسان له رنين حلو فى أعماق الروح ... ثم هو يفهم آلام المحبين لأنها تصعد إليه مع آهاتهم ...

— خيال شاعر وفلسفته !

— بل هو الحق ياحبيبتى ! لقد كان يكلمنى وكنت أكلمه . وكان يفهمنى وكنت أفهمه ، كان يكلمنى بآراده [1] وأضوائه ،

(١) أشعته

وهي لسان صامت ولـكنه بليغ لَسِن ، وكنت أكلمه بوجدانى مرة ، وموسيقاى أخرى ، فكان يضحك فى الأولى ، ويرقص فى الثانية ... تسبيه !

— ماذا يابيرام ؟

— أتمنى لو غمرتنا أشعة القمر غداً ، في هذا السهل المنبسط

— غداً ؟ وكيف ؟

— ولم لا ؟ ألا ترغبين ؟

— وكيف أرفض ؟ أنا أتمنى ذلك

— إذن سنلتقى !

— وكيف أفعل يابيرام ؟

— تتسرقين إذا نام أهلك ... لن يشعر بك أحد

— وأين نلتقى ؟

— عند مقبرة نينوس

— ... ؟ ...

— ألا تعرفينها ؟

— مكان رهيب !

— لـكنه جميل رائع ! سنجلس ثمة بين يدىْ القمر ونتحدث ، ونشفى أنفسنا مما نجد !

— وتعزف وتغنى ؟

— وقد نبكي !

— ... ؟ ...

— اتفقنا ! أليس كذلك ؟

— اتفقنا

— إذن أنتظرك ، إذا لم أجدك هناك ، عند النبع القريب . تحت التوتة البيضاء ! وكذلك تفعلين

— أفعل ماذا ؟

— تنتظرينني ثمة إذا سبقتني !

— ترى ماذا تبتغي ديانا مني ؟

— لا شيء ... لا شيء ...

* * *

ما كان أجملها ليلة سطع فى حواشيها القمر ، ودحرج لآلئه على مياه النبع ، ودغدغ(١) بأضوائه العشب وأفنان الشجر فتبسمت وتضاحكت ، ونشر فى أجوائها بخوره المصاعد من مجامر الورد ، ومداهن البنفسج ، احتفاء بمقدم تسبيه ! يا لجمال الطبيعة ! لقد كان كل ما فيها موسيقى صامتة تنشر أحلى النغم حوالى هذه الحبيبة التى انسرقت تحت أسدال الظلام تمشى كالقطاة وترسل من فوق رأسها خماراً رقيقاً كسحابة الصيف تستر ما وراءها وليست شيئاً ! لقد كانت تتوجس فى نفسها خيفة وهى تدب فى سكون الليل ، كما يسرى الحلم الجميل في خلد النائم

وذهبت تطوى الطريق وفى رأسها ألف فكرة عن هـذه المجازفة ؛ وبلغت مقبرة نينوس آخر الأمر ، ولـكنها لم تجد حبيبها عندها . ترى ؟ ماذا عوقه ؟ لقد كان رخام المقبرة نظيفاً ناصعاً ، ولقد كان شبح الفناء جاثماً فوقها يلمع فى ضوء القمر ، كأنه يتلاعب بالسنين والأحقاب ، وكأنه يسخر من كل شيء فوق الأرض ! وبدا للفتاة الضعيفة كأنه يرقص كالسكران فوق الشاخص الرخامى ، ولـكنها أخذت تصرف عن عينيها رؤى عفاريت الليل ، وتصاوير الوهم المريض ؛ ثم سخرت من خوفها وذكرت التوتة البيضاء ، والنبع الذى عندها ، فارتدت إليهما لتجلس ثمة ، ترتقب زورة الحبيب

وجلست عند جذع التوتة ، وجعلت تحدج الثمر الأبيض ، وتشتهى لو سقط منه شيء تأكله حتى يحضر بيرام ... ثم سمعت دبيباً يقترب ، فلم تشك أن بيرام قد أقبل ، ونبض قلبها بشدة واندرفت من عينيها عبرة لم تفكر هذه اللحظة أن تذرفها ... ثم أبطأ الدبيب ... ووثبت تسبيه تمد عينيها الثاقبتين فى أرجاء الدنيا الصامتة الرهيبة ، ولـكنها لم تر شيئاً ، وعادت عفاريت الليل ترقص فى وهمها ، ولـكنها لم تبال ، وجعلت تجاهد نفسها مجاهدة لينة مرة ، عنيفة مرة أخرى ، وهى فى هذا وذاك تفكر فى حبيبها بيرام ، وتضرب فى تأخره أخماساً لأسداس ... ثم ذعرت الفتاة ذعراً كبيراً ، وساخت الأرض تحت قدميها المرتجفتين أو كأن قد ... ذلك أنها لمحت شبح لبؤة تخرج من دغل قريب فجأة ثم تيمم شطر النبع الذى تعرش من فوقه التوتة . ماذا ؟ إنها لبؤة ضارية أقبلت ترتوى من ظمأ ملح وجواد(١) شديد ... وهي تتبهنس(٢) مع ذلك كأنها عروس ولـكن من الجن

وأطلقت الفتاة ساقيها للريح ، ولم تحفل بها اللبؤة ، لأنها قد افترست فريسة قبل ساعة ونهشتها ، وهذا فمها ملوث بالدم الغريض الدافىء ...

(١) الدغدغة . الزغزغة .

(١) الظمأ (٢) تتبختر

لم تصنع اللبؤة شيئاً ، إلا أنها رأت الخمار الأبيض الذى كانت تسبيه ملتفعة به ، ملقى على الأرض ، فعاثت فيه ، وكأنما أرادت أن تمسح فمها به ، فلوثته بالدم ، ثم هممت نحو النبع فارتوت على مهل ، وعادت أدراجها نحو الدغل الذى تركت فيه فريستها لتأتى على بقاياها

أما الفتاة فقد ظلت تجرى حتى بلغت شجرة ضخمة وجدت فى أصلها فراغاً فاختبأت فيه ، وراحت تلهث من الذعر والتعب ، وتتمنى ألا ترتد اللبؤة إليها ... وقد أيقنت أن ديانا ، إلهة القمر ، قد سمعتها حين عابت على البدر عيه وبكمه ، فساقت إليها هذا الوحش فى هذا الليل

***

ولم يمض طويل على تلك الأحداث حتى أقبل بيرام وفى نفسه لهفة ، وبقلبه قلق ، فقصد إلى مقبرة نينوس فلم يجد عندها شيئاً ؛ ووقف قليلا يبحث عن تسبيه فى كل شيء ! فى شجيرات الورد وفسائل الزنبق ، وفى العشب الخائف المذعور حول المقبرة ؛ وتولاه طائف من الوجد والذهول فراح يبحث فى السحابة الرقيقة البيضاء التى انتشرت على وجه القمر فى هذه اللحظة ، مشبهة خمار تسبيه على وجهها الرقيق الناحل ... ثم ذكر ميعاده عند النبع القريب تحت التوتة البيضاء ، فانثنى ميمما شطرها ...

« يا للهول ! ويا للفزع الأكبر ! ! ما هذا ؟ خمار حريرى أبيض ؟ لمن هذا الخمار يا ترى ؟ أواه ! إنه خمارها لاريب ! لقد شهدتها تلتفع به مراراً ! يا أرباب السماء ! ما هذا الدم ؟ وا أسفاه عليك يا تسبيه ! لقد قتلتك الوحوش فلن أراك بعد اليوم ! أنا السبب يا حبيبتى ! لقد جررت عليك هذا باقتراحى الضال ! ألا ليت أمي لم تلدنى ! أى وحش ضار اغتذى بك يا تسبيه ؟ أيها القمر القبيح الأبكم لم أغريتنا بهذا اللقاء ؟ أنت تتستر الآن حياء وخجلا من فعلتك التى فعلت ، وكنت بالأمس سافراً متبرجا ! أغرب أيها الأصفر كصفرة الموت فلا جمال فيك ! رد على موسيقاى وأغانى فأنت جِبس[1] لئيم لا تستأهل منها شيئاً ! هات كل ما عندك لى هات ! هات دموعى وأشجانى وآهاتى ! هات سهدي وعبادتى ومناجاتي ! قتلت تسبيه تحت سمعك وبصرك ما أقساك يا صاحب الليالى المواضى ! أوه ... ولكن ... لا ... أنا الذى قتلتها ، لاذنب لك يا قمر ... إنى أستغفرك ؛ أبق كل ذكرياتي عندك ، فلا آمن عليها إلا أنت ! أما أنا ... فهلم ياحسام أسكن هنا ... فى حبة القلب .... إروَ من هذا الدم الدافئ فلا أمل لصاحبك فى الحياة بعد اليوم ... »

وألقى الفتى المسكين نظرة على كل شيء حوله ، لاحرصاً على الحياة المرة ؛ ولكن لينظر إلى كل ما نظرت إليه تسبيه قبل أن يأكلها الوحش ، وليتزود من الأثر الذى تركته فى الوجود عيناها الحزينتان المفزوعتان ...

ثم أغمد سيفه في صدره ... وسقط يتجرع سكرة الموت !

***

وهدأ روع تسبيه ، فبرزت من مكمنها في أصل الدوحة ، لترى من أين كان يتردد فى أذنيها هذا النداء الحبيب . وكان شبح اللبؤة مازال يتمثل لها فيفزعها فى الفينة بعد الفينة ، ولكنها كانت تسير بخطى وئيدة ، لأنها ماشكّت مطلقاً فى أن النداء لحبيبها ، ولأن الصوت الفضى الذى كان يمتزج بأضواء القمر فيغمر أذنيها وقلبها ، كان مازال يداعب أذنيها الصغيرتين ... ثم بدا لها أن تحث الخطى حتى تنبه بيرام إلى وجود لبؤة فى هذا السهل الجميل جعلته كالفلاة ... فأسرعت ، وأسرعت ! !

— من هذا المستلقى على حفافى النبع ؟ هو من غير شك !

ثم أسرعت أكثر من ذى قبل

— بيرام ؟ ! ماهذا ؟ السيف في صدرك ؟ لِمَهْ ؟ حبيبي ! رد على ! كلم تسبيه ! ها أنا ذى ! لم قتلت نفسك يابيرام ؟ آه ! هذا الخمار الأبيض ! وَىْ ! إنه ملوث بالدم ؟ عاثت فيه اللبؤة الملعونة !

— تس ... بيه !

وأرسل القتيل هذا الإسم المحبب وحشرجة الموت تعتلج فى صدره ، ثم فتح عينيه قليلاً فرأى فتاته تبكي فوق رأسه ، فتبسم ... ثم مات !

— بيرام ! لا ! لا تمت ! لا بد أن تعيش من أجلى !

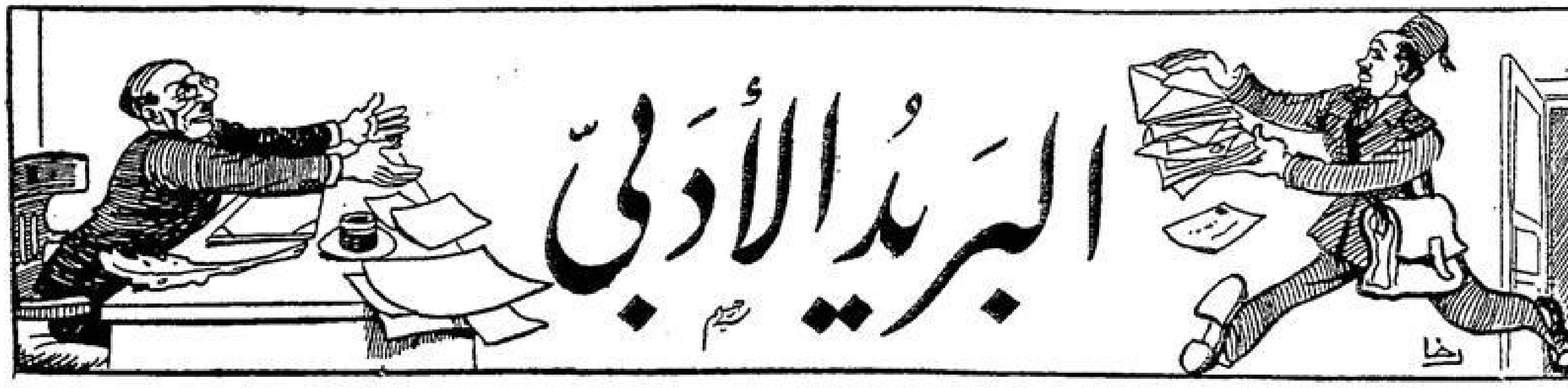
ولكنه مات برغم هذه الأمانى

— إذن أنا التى قتلتك يا حبيبى ؟ إشهدى يا توتتنا البيضاء !

ثم رفعت بصرها إلى فوق ، ولكنها بدلاً من أن ترى الثمر الشهى الأبيض ، رأت ثمراً أحمر يقطر دماً قانيا

— أوه ! رويت من دمه أيتها الشجرة فضرجت ثمرك من

(١) بكسر الجيم الثقيل الروح والجبان واللئيم



أسطورة الاطلانطس

هل كانت الاطلانطس التي مازالت مستقى خصباً لأقلام القصصيين حقيقة قارة أو منطقة مفقودة ؟ لقد ظهرت في العصر الأخير عدة قصص رنانة عن خرافة «الاطلانطس» وكان آخرها رواية لبيير برتران عضو الأكاديمية الفرنسية . ولكن «الاطلانطس» ماتزال خرافة يكتنفها الغموض المطبق . وقد حاول كاتب انجليزي هو جيمس براموبل أخيراً أن يدرس قصة « الاطلانطس » دراسة تاريخية علمية ، فوضع عنها كتاباً سماه « الاطلانطس المفقودة » Lost Atlantis ، جمع فيه كل ما ورد في الروايات القديمة والحديثة وفي التقاليد المأثورة ، وفي الشعر والقصص عن هذه الأسطورة ، وفي رأيه أن هذه (الاطلانطس) لابد أن تعني شيئاً ولو أن ما يحيط بها من الغموض يحول دون معرفة الحقيقة ، وأن هذه القارة ربما كانت على الأغلب جزائر « آزورس » في عصر غابر جداً قد يرجع إلى عشرة آلاف عام قبل المسيح . والواقع أن الأسطورة تثير في الانسان الجانب الشعري قبل أن تثير فيه الناحية العلمية ؛ وإذا كانت جزائر « الآزورس » يمكن أن تكون فرضاً أول للقارة المفقودة ، فكذلك يمكن أن تكون قادس وقرطاجنة ؛ وهنا لك غير ذلك فروض كثيرة ذهب إليها مختلف الباحثين , وأما الحوادث التي ترتبط بهذه الأسطورة فلا حصر لها ، وهي قد ترجع إلى عصر الاهرام أو عصر أفلاطون ، وأفلاطون ممن تحدثوا عن « الاطلانطس » ؛ بيد أن مستر براموبل يرى رواية أفلاطون خارقة مستحيلة إذ يقول إن « الأطلانطس » أو القارة الوسطى قد اختفت في الماء في يوم واحد ، لأن العوامل الجيولوجية لاتحدث أثرها بمثل هذه السرعة الخارقة ؛ ومن جهة أخرى فإن أسطورة « الأطلانطس » ليست في ذاتها أكثر إغراقاً من أساطير تاريخية أخرى لها مكانة في التاريخ ، لحصار طروادة وقصة هيلين التي خلدها هوميروس في الإلياذة ؛ وقصة ملكة سبأ التي شغلت الباحثين والرواد في الأعوام الأخيرة وأمثالها من الروايات المغرقة التي تبدو مع ذلك ذات مسحة تاريخية هي من نوع أسطورة الاطلانطس ، ولو أنها من الناحية الزمنية ترجع إلى عصور أكثر ظلاماً وغموضاً ، وعلى أي حال فإن كتاب « الاطلانطس المفقودة » يقدم إلينا مجموعة من الروايات والفروض الشائعة التي تتعلق بهذه الأسطورة منذ فجر التاريخ إلى عصرنا

حبنا وسعادتنا ؟ ! يا للقسوة ! تعالوا يا أهل ! تعالوا أيها القساة ! فتشوا عن الرحمة في قلوبكم المتحجرة واذرفوا دموعكم علينا ... إحذروا أن تفرقوا بعد اليوم بيننا ، فقد ربطت بين جسومنا المنايا ... لقد أبيتم أن نجتمع في الحياة فلا تفرقوا بيننا بعد الموت... وداعاً أيها القمر ... وداعاً فقد ظلمناك ! »

ثم جذبت السيف من صدر حبيبها وأغمدته في صدرها بعد أن قبلت بيرام الميت قبلة الوداع ... وسقطت تتخبط في دمائها جانبه ... ثم عالجت سكرات المنون فوضعت رأسها الجميل ، وشعرها المغدودن فوق صدره ... ولفظت ثمة آخر أنفاسها

وأقبل أهلوهما في الصباح فبكوا كثيراً ، واستغفروا لذنوبهم ، ثم أقاموا للحبيبين قبراً واحداً من الرخام الناصع عند حفافي النبع ... تحت التوتة الحمراء !

دريني خشبة

مر ، مرير ، ممر

نقد السيد جورج سلستى فى (الرسالة) لفظة (المرير) فى (رواية المصدور) وقد كان العلامة الشيخ ابراهيم اليازجى قد أنكر هذه الكلمة فى مجلته (الضياء) كما أنكر الفاظاً عربية صحيحة غيرها . والشيخ ابراهيم والسيد جورج كلاهما مخطىء فى نقد تلك اللفظة ،فالمرير مثل المر والممر ؛وهى فى كتب اللغة وكلام العرب ورسائل البلغاء ، قال (أساس البلاغة) للامام الزمخشرى: « وشىء مر ومرير وممر » قال :

إنى إذا حذرتنى حذور حلو ، على حلاوتى مرير
ذو حدة ، فى حدتى وقور

وفى (نهج البلاغة) — وصوّاغه من أئمة الفصاحة والبلاغة : « وإن كان ذا مشقة شديدة ومذاقة مريرة »

فقل: المر، أو المرير ، أو الممر، إذا اقتضت ذلك حال، ولكل مقام لفظ ومقال ...

(الاسكندرية)

***

أوراق البردى ونصوص التوراة

ظفر المنقبون فى العصر الأخير بكثير من أوراق البردى التى تتضمن نصوصاً من التوراة فى عصور مختلفة ، ووجدت معظم هذه النصوص الأثرية ضمن أوراق البردى المصرية ؛ وقد استطاع المستر شستربيتى المثرى الانكليزى المعروف فى مصر بأنه من أكبر هواة الآثار أن يحرز عدة من أوراق البردى الهامة التى تلقى ضوءاً على نصوص التوراة الأولى ؛ ووصفت هذه الوثائق أخيراً وترجمت نصوصها فى كتاب بقلم العلامة الأثرى الانكليزى السير فردريك كينون ، وعددها اثنتا عشرة وثيقة متباعدة تكوّن قسما من نسخة من التوراة كتبت فى القرن الثالث الميلادى . وهذه التوراة كما يصفها السير كينون كانت مجموعة واحدة تحتوي على ستة وخمسين صفحة من البردى لصقت معاً ونظمت فى ملف ؛ وقد استطاع السير كينون أن يقرر بالاعتماد على هذه الوثائق كثيراً من الحقائق التاريخية التى تتعلق بتطور النصوص ونتائجها ؛ وأهم هذه الحقائق هو أن نص التوراة كما ورد فى كتاب « إيسيا » ليس هو أصح النصوص التى انتهت الينا . وهنالك بضع وثائق أخرى ترجع إلى القرن الرابع الميلادى وكلها مما يعاون فى تتبع النصوص وتحقيقها

الرئيس مازاريك والحركة الفكرية

فقـدت الحركة الفكرية فى أوربا الوسطى بوفاة الدكتور مازاريك محرر تشيكوسلوفاكيا ورئيسها السابق ركنا من أهم أركانها . ذلك أن الرئيس الراحل لم يكن وطنياً وسياسياً عظيما فقط بل كان أيضاً مفكراً وكاتباً مبرزاً ، وقد درس الفلسفة واشتغل فى شبابه بالتدريس وكان مدى أعوام طويلة أستاذاً للفلسفة فى جامعة براج ؛ وله رسائل وبحوث فلسفية قيمة . كذلك اشتغل الرئيس مازاريك بالصحافة والأدب ، وله عدة آثار أدبية ونقدية لها مكانة فى أدب أوربا الوسطى ، وكان الرئيس مازاريك أيضاً من أعظم هواة الكتب ، وقد جمع أثناء حياته مكتبة عظيمة كانت كعبة الزوار من كل صوب ، وقد تركها لأمته

رحلة فى بلاد التركستان

لا تزال التركستان الصينية من المناطق التى يجهل العالم الخارجى الكثير من أحوالها ؛ وقد وقعت فى الأعوام الأخيرة بهذه البلاد النائية عدة أحداث وتطورات سياسية هامة لفتت إليها الأنظار ، وزارتها عدة بعوث أوربية لتكشف ما هنالك من الحوادث والظروف ، ولتدرسها من الوجهة الجغرافية والاقتصادية والاجتماعية ، وكان من هذه البعثات بعثة أوفدتها الحكومة الانكليزية إلى مدينة أورمشى فى أعماق التركستان سنة ١٩٣٥ لتعقد الصلات السياسية والتجارية بين انكلترا والحكومة الجديدة ؛ وكانت هذه البعثة برياسة السير أريك تيشمان ، يعاونه ثلاثة من المغول واثنان من الصينيين ؛ وسافرت البعثة من بكين فى سيارتين كبيرتين تتقدمهما قافلة من الجمال تحمل البنزين والمؤن ؛ واخترقت البعثة صحراء جوبى الشاسعة مدى ألف وخمسمائة ميل إلى أورمشى ؛ ثم سارت منها إلى مدينة كشغر عاصمة التركستان الصينية فقطعت بذلك نحو ألفين وخمسمائة ميل فى أربعين يوماً . وقد دون السير تيشمان رحلته ودراساته لهذه الأقطار المجهولة فى كتاب ظهر أخيراً عنوانه « الرحلة إلى تركستان » joxrney To Twrkestan ومرض السير تيشمان مدى حين فى كشغر ، ولكنه استطاع أن يتم مهمته وأن يخترق بعد ذلك صحراء البامير المروعة على ظهر مهر ، ومنها انحدر نحو حدود الهند

الشمالية الغربية ، ثم عاد إلى الصين عن طريق الهند

ويقدم إلينا السير تيشمان فى كتابه خلاصة قيمة عن تاريخ التركستان الصينية ، وعن أحوالها وظروفها الحالية ؛ ويفيض في وصف الفيافي الشاسعة والجبال الشامخة التي شاهدها ، وفى وصف الأجناس البشرية التى لقيها فى طريقه ، ولغاتها ومعتقداتها وأساليب حياتها

فى دار المحفوظات النمسوية

يتردد صديقنا الأستاذ عنان الذى يقضى الآن أجازته فى فينا على دار المحفوظات النمسوية ليدرس الملفات الخاصة بحياة ولى العهد السابق رودلف فون هبسبرج وبمصرعه المؤسى فى حادثة مايرلنج الشهيرة ، وقد كانت هذه الملفات السرية التى تحتوى على كثير من الوثائق المخطوطة محفوظة فى قصر (البورج) ولم يتح لإنسان أن يطلع عليها إلا بعد الحرب الكبرى حيث نقلت المحفوظات الامبراطورية إلى محفوظات الدولة ؛ وبين هذه الوثائق مذكرة خطية مستفيضة عن مصرع الأمير رودلف فى قصر مايرلنج مكتوبة بقلم كبير حاشيته الكونت فون هويوش وفيها يفصل الظروف والعوامل النفسية والاجتماعية التى دفعت بالأمير إلى الانتحار . وينوى الأستاذ عنان بعد دراسة هذه الملفات أن يضع مؤلفاً عن مأساة مايرلنج الشهيرة مستقى من أوثق المصادر والمراجع

بعثة ثقافية مصرية إلى فرنسا

وجهت الحكومة الفرنسية الدعوة إلى الحكومة المصرية لايفاد ثلاثة من خريجي كلية الآداب واثنين من خريجى كلية الحقوق لزيارة فرنسا والإقامة بها عاماً دراسياً كاملا

وقد خصصت جمعية أصدقاء الشرق لكل مبعوث مصرى من الذين تقرر الجامعة إيفادهم عشرة آلاف فرنك طول مدة الإقامة على أن تتكفل أيضاً بنفقات الانتقال على البواخر الفرنسية والسكك الحديدية المصرية والفرنسية

وقد تلقت وزارة المعارف أمس الأول كتاباً من قنصل فرنسا يطلب إليها فيه دعوة المبعوثين لمقابلته والتعرف إليهم .

ونذكر فى هذا الصدد أن جمعية أصدقاء الشرق بباريس لم تضع للبعثة برنامجا وإن كان المفهوم أن الدعوة مقصود بها توطيد صلات الصداقة وإيجاد علاقات أدبية وثيقة بين الشعبين المصرى والفرنسى عن طريق إيفاد مثل تلك البعثات ؛ وقد وقع اختيار الجامعة على أعضاء البعثة وسيغادرون مصر فى هذا الشهر

الحياة الطبيعية للانسان ١٥٠ سنة

وصل الأستاذ « لازارف » مدير معهد البيولوجيا فى روسيا — بعد سنوات متواصلة من البحث — إلى أن العمر الطبيعى للانسان ينبغى أن يكون ١٥٠ سنة وأن السبب الوحيد لعدم مقدرة الجيل الحاضر على الوصول إلى هذه السن هو عدم الاهتداء إلى سر التغلب على عملية التفكك فى الجسم الانسانى . ويعتقد الأستاذ أن الانسان يصل إلى عنفوان قوته فى سن العشرين وبعد ذلك تبتدىء عملية التفكك وأنه سوف لا يمضى وقت طويل حتى يتمكن العلم من وقف هذه العملية وبذلك يتمكن الجزء الأعظم من سكان العالم من التعمير مائة وخمسين سنة . وربما استخدمت فى ذلك مجهزات كيميائية أو أشعة خاصة يستطيع بها المخ أن يحتفظ بقوة وظيفته . ويستدل الأستاذ على تأثير هذا فى بعض الأمراض التى كانت تعتبر عضالة منذ خمسين سنة وقد أصبحت الآن سهلة الشفاء

تعيين سكرتير لجمعية مارك توين فى مصر

اختارت جمعية مارك توين الدولية مستر جون هوجورف ليكون سكرتيراً لها فى مصر

وهذه الجمعية مؤلفة على نمط أندية شكسبير ، وتتجه أغراضها إلى نشر كتابات مارك توين وتشجيع الملكات الأدبية من أية جنسية كانت ، ولها فروع فى الولايات المتحدة الأمريكية ، والأمبراطورية البريطانية وفرنسا وإيطاليا وألمانيا واليابان وغيرها من البلاد . ويؤيد جمهورها كثيرون من أقطاب العالم بينهم السنيور موسولينى ومستر هوفر ، وايرل بلدوين ، ومستر رامسى ماكدونالد ، والجنرال سمطس ؛ ومن أعضائها ستيفن كيلوك ، وأوجينى أونيل ، وجيوفانى بابينى ، وويلز وأندريه موروا

{ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المهدى عمارة عجم رقم ٧ }